سلسلة: شرح اسماء الله الحسنى

شرح اسم الله تعالى «الرَّزَّاق» سبحانه وتعالى

تفريغٌ كاملٌ لدروس الشرح

لفضيلة الشيخ:

د/ محمــــد الدبيسي

حفظه الله تعالى وعفا عنه

إصدار: 1.0 مسودة

شعبان 1434 - يونيو 2013

إصدار: 1.0 مسودة

6 **شعبان** 1434 **هـ** الموافق: 15 **يونيو** 2013 م

للاتصال: debiessy@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمَّا بعدُ..فهذا تفريغٌ كاملٌ لجميع الدروس الأربعة لهذا الشرح الطيّب لاسم الله تعالى «الرزَّاق» لفضيلة الشيخ د/ محمد الدبيسي- حفظه الله تعالى، قُمنا بتفريغها رغبةً مِنَّا في تيسير وصول المادةِ العلمية والمواعظ الإيمانيةِ التي احتوتْه هذه الدروس القيّمة لإخواننا طلبة العلم، وحتَّى تسهل عليهم مذاكرةُ الدروس ومراجعتها باستحضار هذا التفريغ المقروء مع سماع الدروس صوتيًّا.

ولقد كنا نشرنا منذ فترة تفريغ الدروس الثلاثة الأُولَى، ثم تَمّ بفضل الله تعالى تفريغ الدرس الرابع والأخير وتهذيبه، فألحقناه هنا مع إخوانه الدروس الثلاثة الأُولَى لكل يسهل على إخواننا تنزيلُ جميع دروس هذا الشرح المبارك وقراءتها معًا في ملفٍ واحدٍ.

وممّا يزيد من أهمية هذا التفريغ لهذا الشرح القيّم أن التسجيلَ الصوتي لبعض دروس شرح هذا الاسم المشرّف رديءٌ جدا؛ لا سيما الدرس الأول والدرس الثالث منها[1].

---

(1) الدروس الصوتية متوفرةٌ في هذا الرابط لـمَن اراد سماعها من إخواننا:

http://debiessy.com/asmaa/asmaa.htm

ومن الأهمية بمكانٍ بخصوص هذا التفريغ أنْ نُنبِّهَ أن فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى لم يُراجعْه ويُهذِّبْه نظرًا لانشغاله الشديد في الفترة الأخيرة، لذلك أطلقنا عليه وصفَ "مسودة".

وكان منهجنا في هذا التفريغ هو تفريغ الدرس تفريغًا حرفيا، ثم مراجعة أخطاء التفريغ ومعالجتها لغويا وسماعيا ..إلخ، ثم تهذيب التفريغ تهذيبًا يسيرًا جدا حتى نُحافظ على عبارات فضيلة الشيخ كما هي على قدر الإمكان وفي نفس الوقت نُحوّل أسلوبَ الدرس من الصورة المسموعة إلى الصورة المقروءة، ثم تخريج الأحاديث تخريجًا وجيزًا مع ضبطها، وقدْ أبقيْنا ترتيب الشرح على ترتيب الدروس؛ لا على ترتيب الفصول، مُؤجّلين إعادة ترتيب الكتاب على الفصول إلى حين تهذيب فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى له، حيث لاحظنا أحيانا أن تلخيص بعض الدروس السابقة قد يحتوي على إفادات جديدة لم ترد فيما سبق من دروسٍ.

ونسأل الله تعالى أن يُبارك في وقت وصحّة فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وأن يُيسر له مراجعةَ هذه الدروس، وأن يُضيف إليها من إضافاته القيّمة حتى يزداد ويزداد انتفاعُ إخواننا بهذا الشرح المبارك[1]، كما نسألُه تعالى أن ينفع بهذه الرسالة مؤلفَها والناظرَ فيها وكلَّ مَنْ شارك في نشرها ابتغاء وجه الله تعالى.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

وكُتِبَ هذا التقديم في: 6 شعبان 1434هـ، الموافق: 15-6-2016

(1) فإنْ وفَّقَ اللهُ تعالى شيخَنا الكريم لذلك؛ فنحن جاهزون إن شاء الله تعالى لبذل مزيدٍ من الجهد لإخراجِ الرسالة في حُلّةٍ أكثر بريقًا وعمَلِ أي تهذيباتٍ يُدخلها قلمُ فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى؛ لا قلم غيرِه. ولَـمَّا كان لكل مجالٍ مقالٌ؛ فقدْ اكتفينا في هذا الإصدار المسودة بهذا التهذيب المتوسّط، مؤجِّلين بذلَ مزيد من المجهود للإصدار النهائي إن شاء الله تعالى .

المحتويات

الدرس الأول: معاني اسم الله تعالى : الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى
تمهيد..
كلام أهل العلم في اسم الله «الرزاق»..
أنواع الرزق: الرزق الظاهر والرزق الباطن..............................
الرزقُ الباطنِ أشرفُ الرزقينِ..................................
حظ العبد من وَصْفِ اسم الله تعالى «الرزاق»...............................
الخازِنُ المُسلِمُ الأمين كالمُتصدِّق................................
الرزاق في القرآن والسنة..
مسألة: هل ما حصَّله الإنسانُ من حلال أو حرام يُعَدُّ رزقًا؟.......................
الفرق بين القُوت والرزق..
من معاني الرزاق...
الدرس الثاني: نظرةٌ إجماليةٌ في الآيات الواردة في اسم الله تعالى: الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى
الآيات المتعلقة برزق الله الواسع...
طُرق تحصيل الرزق...
الرزق في الآخرة ....
الدرس الثالث:الشرح التفصيلي لبعض الآيات الواردة في اسم الله تعالى: الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى

تلخيص بأهم المعاني المذكورة في الدرسَينِ الماضيَين:..............................

لفتةٌ سريعةٌ إلى بعض آيات تقرير أن الرازق هو الله تعالى..........................

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ....

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾...

قوله تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾...........

قوله تعالى: : ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾................

شرح بعض الآيات المتعلقة ببسْطِ الرزق وقبْضِه ....

آية عامة في رِزْقِ الله عزَّ وجلَّ: قال تعالى : ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ....

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ ......

الدرس الرابع: تابع الشرح التفصيلي لبعض الآيات الواردة في شرح اسم الله تعالى الرزاق سبحانه وتعالى ......

الدرس الأول

معاني اسم الله تعالى : الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وآل بيته، كما صليت على إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71].

أما بعــــد..

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله، وخير الهديِّ هديُّ محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدَثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار. اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

تمهيد

وكان آخرُ ما ذكرنا في المرة الماضية الكلام على اسمه ﷻ «الكريم». وهذا الاسم المشرف ذكرنا شيئًا من المعاني عليه ينبغي أن نُذَكِّر بها سريعًا. ومما ذكرنا حظُّ المرء من اسمه المشرف الكريم، وهذا الحظ يتعلق بأن يكون المرءُ كريمًا مع الله تعالى، يعني يكون كريمًا في أحواله مع الله تعالى ومع كتابه وأسمائه وصفاته ﷻ، أسوةً بالنبي ﷺ، فيَتصرف مع كلام الله تعالى وأسمائه وصفاته تَصَرُّفَ النَّفْسِ الشريفة.. النفسِ العزيزة التي تأخذ هذا الكلام بجِدٍّ واهتمامٍ، والتي تَتحقق به وتدعو إليه وتُسارع له وتُسابِقُ فيه وتتنافس على تحصيله. وذكرنا أن المرء يسارع إلى أسمائه وصفاته بكَرَمٍ، بتقديم هذه المعاني في القيام بحَقِّها والتسابُقِ فيها والتنافس عليه، لا التأخير والتواني والتكاسل... فكلُّ ذلك ليس من أعمال الكريم ولا من صفاته التي ينبغي أن يتسابق فيها المؤمنون.

وقد آثرتُ أن نُلحق هذا الاسمَ المشرف «الرزاق» باسمه جل وعلا «الكريم»؛ لأنه يدلُّ على كرم الله تعالى وعلى جُوده وإحسانه ﷻ، وعلى كريم ما تَفَضَّل به من أفضالٍ وإنْعامٍ ونِعم لا تُحصى، كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [الحجر: 34].

وذلك حتى يَنظر المرءُ كيف ذَكَر القرآنُ هذه الأسماءَ، وكيف ذَكَر توحيدَ الله بها، وكيف ذَكَر دعاءَ الله بها، وكيف ذَكَر حظَّ المؤمن من هذه الأسماء التي ينبغي أن يُحصِّله فيها. وكذلك ينظرُ المرء كيف أنفق اللهُ تعالى منذ خَلَق السماوات والأرض إلى اليوم: كيف رزق، وكيف أعطى، وكيف وهب، مِن المُلك والمال والسلطان والجاه والمأكل والمشرب والمسكن والمركب... وكل ذلك مما لا حَصْرَ له.

ومسألة أحوال المؤمنين ورزق الله تعالى من المسائل المهمة والتي نتكلم بسببها في اسم الله تعالى «الرزاق». وهذه من المشاكل التي تُعيق المؤمنين عن السير إلى الله تعالى، والتي تُشكك المؤمنين في سَيرهم إليه جل وعلا، أي أنها من المشاكل التي تكون سببًا في التردد في الطاعة والعمل الصالح والسَّيْر، وسببًا في التشكك في المستقبل، وما كان وما يكون وما يمكن أن يكون. فمَن عنده مالٌ يَتوسع أكثرَ في تحصيل الرزق ويُضَيِّع دنياه في تحصيله فيُضَيِّع بذلك آخرتَه، ومن ليس عنده مهمومٌ حزين ضيَّع آخرَته في النَّكَدِ والحُزن والانتظار والتألم والتشكك في الله تعالى والاعتراض على قَدَر الله تعالى، ويحاول أن يكون تنافسُه وتسابقه في تحصيل هذا الرزق وهذه الدنيا!

وكل ذلك يعود على العبد المؤمن بشَتاتِ قلبه وذهنه، وكذلك يعود عليه بعدم تفريغ قلبه لله تعالى وتوحيده وعبادته والإقبال عليه ﷻ؛ لأنه لم يَثِقْ بعدُ في رزق الله تعالى، ولم يَتَمَكَّنِ التوكلُ واليقينُ من قلبه، بحيث يعلم أن له رازقًا لا ينساه، يُرسِل إليه رزقَه ويَبْسطه له، ويُقَدِّره ﷻ كيف يشاء على مَنْ يشاء.. وأنه ﷻ لطيفٌ بعباده يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدر، وأنَّه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها وأجلها.

إنْ عَلِمَ المرءُ ذلك كلَّه، فإنه يُصبح حينئذٍ مُتيَقِّنًا في ربِّه، واثقًا فيه، لا يخشى شيئًا يُضَيِّع عليه آخرتَه، ولا يُعَكِّر عليه قلبه، ولا يُعَطِّله عن عبادته، ولا يجعله مِن المُتوسوِسينَ في صلاتهم وفي ذِكْرِهم وفي إقبالهم على الله تعالى. وهذا الأمرُ هو الذي جَعَلَنا نتكلم على هذا الاسم المشرف «الرزاق».

كلام أهل العلم في اسم الله «الرزاق»

وكما هي العادةُ نبدأ بكلام العلماء في هذه المسألة، ثم نعود إلى مَنْهَجِنا في ذِكْر آيات الكتاب الحكيم التي تشير إلى معنى هذا الاسم المشرف. وقد حَسَم اللهُ تعالى هذه المسألة حَسْمًا، فعندما يُطالع القارئُ – إنْ شاء الله – هذه الآياتِ مَعَنا بعد ذلك فسوف يرى عَجبًا في هذه الآيات الكريمات، وكيف أنَّ اللهَ تعالى قدَّر لخَلْقِه الرِّزْقَ، وضَمِنَ لهم الرزق، وأنَّه خيرُ الرازقين، وأنَّه ما مِن دابة في الأرض إلا على الله رِزْقُها، وأنَّه لن تموت نفسٌ حتى تَسْتوفيَ أقصى رزقِها وأجلها، وأنَّ رِزْقَ الله تعالى يَبْسُطه كيف يشاء ولمن يشاء، ويَقبِضه كيف يشاء وعلى مَن يشاء، ويُنَزِّل بقَدَرٍ ما يشاء... إلى آخر هذه المعاني الخطيرة التي تُبين هذه الآيات.

ومَن يطالع هذه الآيات يَنْدَهِشُ عَقْلُه وذهنُه بهذه المعاني الكريمة التي حَوَتْها، وإن شاء الله تعالى سنتناولها بعد أن ننتهي من كلام أهل العلم في اسم الله تعالى «الرزاق». وكلامُهم جميعًا يكاد يكون مُتشابِهًا أو مُكَرَّرًا أو يَنْقُلُ بعضُهم عن بعضٍ، وهو ما سنذكره إن شاء الله تعالى، ثم نبدأ بعد ذلك في المنهج الذي سِرْنا عليه.

❋❋❋

ونبدأ بكلام الإمام الغزالي – رحمه الله – في هذا المعنى، يقول: «... هو الذي خَلَقَ الأرزاقَ والمُرْتَزِقةَ، وأَوْصَلَها إليهم، وخَلَقَ لهم أسبابَ التَّمَتُّعِ بها»[1].

(1) انظر المقصد الأسنى

فهو ﷻ الذي خَلَقَ الأرزاقَ، وخَلَقَ المُرْتَزِقةَ، وهم مَنْ يأخذُ هذه الأرزاقَ مِن الناس أو البهائم أو غيرهم، يعني كل مَن يأكل مِن رزق الله تعالى ويتغذى عليه، أو يُحصِّله ويَتَمَلَّكه، سواءً كان في غذائه أو غير غذائه كما سنذكر – إن شاء الله – بعد ذلك.

وأَوْصَلَها إليهم، أي أَوْصَلَ هذه الأرزاقَ إليهم. فهو سبحانه وتعالى خَلَقَ الرزقَ، وخلق مَنْ يأخذ هذا الرزقَ، وخلق سبحانه وتعالى كيف يُوَصِّلُ هذه الأرزاقَ إليهم. وهذه مسألة لا يَتخيَّلُها المرءُ، كيف تَصِلُ الأرزاقُ إليه؟ دَعْكَ من الإنسان الذي قَدْ تُغريه قوتُه وسَعْيُه وأسبابُه، وانظرْ إلى الحيوانات التي خلقها الله تعالى وانظر كيف رَزَقَهم، هذه النملة في جُحْرِها، وهذه الأُسُود في غاباتها، وهذه الحيوانات في مَراعيها: كيف يَصِلُ إليهم الرزقُ؟ لا يُوصِّله إليهم إلا الله سبحانه وتعالى الرزاق. وذلك حتى يَسْتَيْقِنَ الناسُ ويعودوا إلى التوكل على الله تعالى والثقة فيما عنده جل وعلا، فهو سبحانه وتعالى خلق الأرزاقَ وخلق الأسباب التي تجعل هذه الأرزاق واصلةً إلى الخلق.

وخَلَقَ ﷻ لهم أسبابَ التَّمَتُّع بهذه الأرزاق، فقد تكون هذه الأرزاقُ موجودةً ولا يستطيع المرءُ أن يَتمتع بها؛ كأن يُصيبه مرضٌ مثلًا فلا يستطيع أن يتمتع بالطعام والشراب، أو أنواعٍ معيَّنة منها، وهذه قدرةُ الله التي تُبيِّنُ ذلك. يعني لو لم يَخْلُقِ اللهُ جل وعلا هذه الأمراضَ والموانع التي لا يتمكن المرء بسببها أنْ يُحصِّل هذه الأرزاق ويتمتع بها، لشَقَّ بذلك على خَلْقِه؛ لأنه سبحانه وتعالى لو لم يخلق المرض الذي يكون سببًا لأنْ يَمتنع المرءُ عن أصناف الطعام التي تضرُّه، لَزَادَ مرضُه بتناوله هذا الطعام الذي لم يُمنع عنه إلا بظهور هذا المرض فيه، ولكنه خلق ذلك وقَدَّرَهُ لِيَفْهَمَه ويتدبره أولوا الألباب؛ كيف أن الله تعالى هو الذي فعل ذلك وقدَّره. وانظر إليك تَجِدُ المرءَ المريض يُوافِق أن يأكل كذا وكذا من أصناف الطعام التي لو كان صحيحًا مُوسِرًا ما كانت نَفْسُه لِتُطاوِعه أنْ يأكله،

أما إذا كان فقيرًا فإنه يأكل أيَّ شيء، إنْ حصَّل أيَّ شيء وَجَدَهُ أكلَهُ واستَمْتَع به، وهو يَحْمَد اللهَ تعالى على ما رَزَقه الله تعالى من النِّعم.

أنواع الرزق :

الرزق الظاهر ، والرزق الباطن

1- **الرزق الظاهر**: هو الأقوات والأطعمة. وهذا الرزق للظواهر، وهي الأبدان التي يتناولها كل أحد.

2- **والرزق الباطن**: هو المعارف والعلوم التي يَهَبُها اللهُ مَن يشاء من عباده. كأن يَعرفَ المرءُ ربَّه ويتوكلَ عليه، ويُخْبِتَ إليه.. كأنْ يكون له مع الله تعالى أحوالٌ جميلة: مِن الشَّوْقِ والمحبة والرضا والصبر واليقين والإخبات والإنابة والخوف والرجاء. علاوة على العلوم والفُهوم التي يَفتحها اللهُ على من يشاء من عباده. فتَجِدُ العلماءَ مُتفاوتينَ في الفَهم والعلم والحفظ والقرآن والحديث والعلوم المتعلقة بذلك منها، وتجدُ هذا يرتفع شأنُه في شيء، وهذا يرتفع شأنُه في شيء آخر، وهذا له حظٌّ في شيء ثالث، فضلًا عمَّا يَفتحه الله تبارك وتعالى من الإقبال عليه من طرق التعبُّد له ﷻ، من القيام والصيام والذكر وتلاوة القرآن، أو الجهاد والبذل، أو التضحية والفداء، أو غير ذلك من تلك العلوم والمعارف بالله تعالى التي يكشفها ﷻ ويُنزِّلها لمن شاء من عباده، ويرفع بها من يشاء، ويُبْعِدها عن من يشاء فيكونوا كبقية البهائم في هذه الحياة الدنيا!

الرزقُ الباطنِ أشرفُ الرزقينِ

وهذا الرزق الباطن- وهو تلك العلوم التي هي ميراث النبي ﷺ، والتي هي غذاء القلب والروح بمعرفة الرب والإقبال عليه وكذلك بمعرفة العلوم وأنواعها الـمُقرِّبة إليه ﷻ التي يَفتحها على مَن شاء مِن المحبين له المُتقرِّبينَ له بأنواع القُرَب - هذا الرزق هو أشرف الرزقين؛ لأن ثمرةَ هذا الرزق الباطن حياةُ الأبد. وثمرةُ الرزق الظاهر - الذي هو الأقوات والأطعمة للبدن – ثمرتُه قوةُ الجسد إلى مدة قليلة الأَمَدِ. لذلك كان الرزقُ الباطنُ أشرفَ نَوْعَيِ الرِّزق، والذي يُميِّز الإنسان عن غيره، والذي يُميز مَن يُقبِل على الله تعالى عن غيره، والذي يُميز مَن يَرْفَعُه اللهُ درجةً عن غيره... وهكذا.

وهذا هو الذي يجعل المرءَ يأخذ في أسباب تحصيل هذا الرزق الباطن، ويعرف أنَّ هناك رزقًا شريفًا ينبغي أن يُحصِّله، وأن يُسابق فيه، وأن يُنافس عليه. وهذا العلم النافع هو الذي حَمَلَ الصحابةَ ومن بعدهم على الهجرة والجهاد والبذل وتَعَلُّم علوم الشرع والإقبال على الله تعالى.

وهذا يُميز لنا كم نحن بَعِيدينَ عن هذه المعاني التي يُشرِّفُ اللهُ تعالى بها مَن شاء من عباده، بل وأننا من البُعد بمكانٍ يجعل من الغريب علينا أن نَسمع هذه المعاني التي تَغِيب عن أذهننا وخواطرنا وعقولنا، وبالتالي لم نفكر فيها، وبالتالي لم نفكر في تحصيلها والإقبال عليها، ولم نأمَل في أن يكون كلُّ واحدٍ منَّا له فيها قَدَمٌ راسخٌ.. له فيها قَدَمُ صِدْقٍ عند الله تعالى.

***

واللهُ تعالى هو المُتوَلِّي لخَلْقِ الرِّزقينِ، فهو الذي تَوَلَّى أنْ يَخلق رِزْقَ الأبدان الظاهر، وكذلك رِزْق القلوب ومعارفها، وهو ﷻ المُتفضِّلُ كذلك بالإيصال إلى كلٍّ من الفريقين، فيُوصِلُ ﷻ رزقَ هؤلاء لهؤلاء، ورزقَ أولئك لأولئك، وفي نفس الوقت: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26].

ولا ينبغي للمرء أن يَتعجَّبَ من سببِ قِلَّة رِزقه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 27]. فلا بد أنْ تعلم أنَّ لله ﷻ في ذلك حِكَمًا، ينبغي أنْ يَشْهَدَها قلبُك وأن يَطَّلِع عليها عَقْلُك، فتكون هذه الحِكَمُ سببًا في زيادة إيمانك وزيادة إقبالك على الله جل وعلا ومحبتك له، وفي نفس الوقت تكون سببًا لِأَنْ تَطْلُبَ من الله تعالى هذه الحُظوظ الشريفة وتلك الأرزاق العالية التي يَرزق بها من شاء كما قال: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾. فتَدْعُوه إذن وترجوه أن تكونَ ممن يَسوقُ لهم هذا الرزقَ الشريف الذي يكون سببَ سعادتهم في الدنيا والآخرة.

أمَّا أرزاقُ الدنيا، فهي مَقْسومةٌ لأصحابها، فيأخذونها كما يأخذون آجالَهم، وهذا حديث النبي ﷺ: «**إنَّ الرزقَ ليطلبُ العبدَ كما يطلبُه أَجَلُه**»[1]. فمَن كان مِن الناس خائفٌ على حياته وعلى رزقه، فيتأخر عن درس العلم مثلًا لأنه سيحدث له كذا، أو لأنه سيتعطل عن كذا ويفوته من أمر الدنيا كذا، وإن أتى إلى الصلاة جاء متأخرًا، ويريد الانتهاء منها مبكرًا؛ لأنه لو تأخر لحدث له كذا وكذا... فكل ذلك في معنى قوله تعالى:

(1) أخرجه ابنُ حبان في صحيحه (3238) عن أبي الدرداء مرفوعًا، وغيرُه، وصحَّحه لغيرِه الشيخُ الألباني في صحيح الترغيب (1703).

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾. وأنت أيها المسكين تحتاج إلى هذه المعاني، التي تكون سبب سعادتك في الأولى والآخرة، والتي لم تعرف عنها شيئًا ولا تَوَدُّ أن تعرف، أو إن وددتَ فإنك لم تحاول في الأخذ بأسبابها التي تُحَصِّلُها!

حظ العبد من وَصْفِ اسم الله تعالى «الرزاق»

وغايةُ حظ العبد من هذا الوصف أمرانِ:

الأول: أن يعرف المرءُ حقيقة هذا الوصف وهو الرزاق، وأنه لا يَسْتَحِقُّ هذا الوصفَ المشرَّف إلا اللهُ عزَّ وجل.

والثاني: أنْ يَرْزُقَه اللهُ عِلمًا هاديًا، ولسانًا مُرشِدًا مُعلِّمًا، ويَدًا مُنْفِقةً مُتَصَدِّقةً.

وقد ذكر الإمام الغزالي والإمام القرطبي ما أُثِر مِن أنَّ النبي سليمان عليه السلام، وقد وَهَبَهُ اللهُ تعالى مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، طَلَبَ من الله تعالى أن يَسْتَضِيف الخلقَ يومًا واحدًا، فأذِنَ اللهُ تعالى له بذلك. فأخذ يَجْمَعُ في الأقوات حتى يَستضيف الخَلْقَ كلَّهم؛ حيواناتِهم وطيورَهم وإنسَهم وجِنَّهم التي سَخَّرَها الله تعالى له، فجاء حوتٌ من البحر فأكل ما جمعه سليمان كلَّه، فقال له سليمان عليه السلام – وكان يعرف كلام الحيوانات وتعرف كلامه، كما قال تعالى عنه: ﴿**عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا**﴾ [النمل: ١٦] – فقال له: أهذا رِزْقُكَ كلَّ يوم؟ فقال الحوت: لا، أنا آكل ثلاثة أضعافه، ولَيْتَكَ لم تُضِفْني، فسأبقى جوعان بقية اليوم!.

فيعرف المرءُ حقيقةَ هذا المعنى وهذا الوصفَ المُتَّصِف به المولى جل وعلا، وأنه لا يَستحقه إلا الله جل وعلا، فلا يَنتظر الرزقَ حينئذٍ إلا منه سبحانه وتعالى، ولا يتوكل فيه إلا عليه.

وقد وردتْ قصةٌ عن أحد الزُّهاد المشتهرين بالتقوى والورع، وهو حاتم الأصَمُّ، تُبيِّن شيئًا من ذلك. وقد ذكرها مُعظم مَن تكلَّم في الأسماء الحسنى عن اسمه الرزاق.

فقد رُوي أن رجلًا سأل حاتم الأصم: مِن أين تأكل؟

قال حاتم الأصم: من خزانته سبحانه وتعالى.

فقال الرجل: أَيُلقى عليك الخبزُ من السماء؟

قال حاتم: لو لم تكنِ الأرضُ له لكان يُلقيه من السماء.

فقال الرجل: أنتم تُؤَوِّلون الكلام.

فقال حاتم: لأنه لم يَنْزِل من السماء إلا الكلام؛ قال تعالى: ﴿**كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: 82]، فكلُّ شيءٍ يكون.

خزائنه أن يقول له: كن، فيكون، ينزل المطر ينزل.. يمنع المطر يمنعه سبحانه وتعالى، لا يأخذ الله جل وعلا المطر فينزله، ولكن يقول له: كن، فيكون كل شيء في خلقه سبحانه وتعالى.

فقال الرجل: أنا لا أقوى على مجادلتك.

فقال حاتم: لأن الباطل لا يقوى مع الحق.

وهذا التنبيه الأول في كلام الإمام الغزالي، وهو أن حظ العبد من هذا الوصف – أي الرزاق – أمران: وهو أن يعرف حقيقته، وأنه لا يستحقه إلا الله سبحانه وتعالى، فلا ينتظر حينئذٍ الرزق إلا من الله جل وعلا، ولا يتوكل إلا عليه.

فالأمر الأول إذن هو توحيدك الله تعالى باسمه الرزاق، فتعرف كيف يُوصَف الرب جلَّ وعلا بأنه الرزاق، وتعرف حقيقة هذا الرزق الذي يُوصف به الرب ﷻ، وما يتعلق بذلك، كما سنذكر في الآيات الشريفات إن شاء الله تعالى.

وأما الحظ الثاني من هذا الوصف، فهو أن يرزقه الله تعالى علمًا هاديًا. فتسعى إليه أيها الإنسان المؤمن المتقي الذي أقبلتَ على معرفة أسمائه الحسنى ﷻ وصفاته العليا: أن يرزقك علمًا هاديًا، ولسانًا مرشِدًا مُعَلِّمًا، ويدًا مُنْفِقةً مُتَصَدِّقةً. فيجمعُ لك ﷻ الرزقين معًا: يعني يجمع لك الحظ من رزق الظاهر وهو رزق البدن، ورزق الباطن وهو العلوم والإرشاد والهداية التي يرزقها الله من يشاء وبغير حساب: ﴿**وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ**﴾ [البقرة: 212]، يهب من يشاء، ويعطي من يشاء، ويرزق من يشاء... كل ذلك بغير حساب.

فتَطْلُبُ من الله جل وعلا حظَّك، وحظُّك ينقسم إلى جزأين: حظٌّ متعلق برزق الباطن، وهو الرزق الشريف، وحظٌّ متعلق بالرزق الظاهر. فتكون حينئذٍ سببًا لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب من الأقوال والأعمال، وتكون أيضًا سببًا لوصول الأرزاق إلى عباده، فإذا أحبَّ اللهُ تعالى عبدًا أَكْثَرَ حوائج الناس إليه. وإذا كان المرء سببًا بين الله وبين عباده في وصول الأرزاق إليهم، بأَنْ يكون واسطة بينه وبين خلقه في وصول هذه الأرزاق إليهم، سواء كان في الأرزاق الشريفة التي ذكرنا أو الأرزاق الظاهرة المتعلقة بالبدن كالإنفاق والبذل والعطاء، فإن هذا العبدَ قد نال حظًّا من تلك الصفة – صفة الرزاق ﷻ – فكان أقرب إليه وأحب إليه؛ لأنه لا يجاوره في جنته إلا أولئك المتصفون بصفاته ﷻ، كما ذكر: ﴿**سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ**﴾ [الزمر: 73].

فالتنبيه بأن حظ العبد من هذا الوصف أمران: الأمر الأول أن يعرف حقيقة هذا الوصف؛ لأن هذا الوصف ليس هينًا ولا سهلًا، بل هو وصف خطير، فعلى المرء أن يُوَحِّد الله تعالى به، وأن يَدْعُوَه به، فلا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب الرزق إلا منه ﷻ. والأمر الثاني في حظ العبد أن يرزقه الله تعالى علمًا هاديًا، ولسانًا مرشدًا مُعَلِّمًا، ويدًا مُنفِقة. كأن حظّ العبد من ذلك أن يكون العبد مُتَّصِفًا بالرزق الظاهر والرزق الباطن، وأن يكون سببًا في وصول هذه الأرزاق إلى النَّاس، كما هو الحال في صفة الربِّ ﷻ.

الخازن المُسلِم الأمين كالمُتصدّق

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ، الَّذِي يُنْفِذُ – وَرُبَّمَا قَالَ: يُعْطِي – مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبٌ بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ**»(1).

وقد سبق أن شرحنا هذا الحديث في «رياض الصالحين»، ومعناه: أن الخازن المسلم الأمين، وهو الذي يُوكَل إليه أن يُسَلِّم هذه العُهدة مثلًا، فيُسَلِّمها لمن عُهِد إليه بها أنْ يُسَلِّمَها له. هذا الخازنُ قال النبي ﷺ عنه إنه كالمُتصدِّق. وهذا يبين أن الله تعالى قد أعطاه هذه الأرزاق، وجعله سببًا لوصول هذه الأرزاق إلى الناس، فكأنه قال له: تَصَرَّفْ في هذه الأرزاق إلى فلان وإلى فلان، ولهؤلاء الطلبة مثلًا: أَعْطِهم مالًا، أعطهم وقتًا وجُهدًا، أعطهم كذا وكذا، وأعْطِ هؤلاء الفقراء وهؤلاء الإخوان.. تَوَسَّعْ في كَرَمِهم والإنفاق عليهم وإعطائِهم... فيُعطي ذلك كاملًا مُوَفَّرًا، لا يَنقص منه شيئًا، ولا يقول له: «مُرَّ علينا غدًا لتأخذ الباقي»، أو «أعْتَذِر لأنه لا توجد اليوم سيولة»! أو أن عارِضًا أو أكثر قد مرَّ به... لا، بل يُعطي ذلك المُوكَّلُ به كاملًا مُوَفَّرًا طيبةٌ نفسُه به، فهو لذلك أحدُ المُتَصدِّقينِ. وأيدي العباد خزائنُ الله تعالى، فمَن جَعل اللهُ تعالى يَدَهُ خزانةَ أرزاق العباد وأرزاق أبدانهم، وجَعَلَ لسانَه خزانةَ أرزاق قلوبهم، فأَكْرِم بها استَحَقَّ هذا الثواب بسبب ما نال هذه الصفة، أكْرِمْ به وأكْرِمْ وأكْرِمْ!

(1) أخرجه البخاري (1438) ومسلمٌ (1023) في صحيحيهما من رواية أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه مرفوعًا.

الرزاق في القرآن والسنة.

وقد أشار الإمام القرطبي إلى أن الرَّزَّاق والرَّازِق جل جلاله وتقدستْ به أسماؤه، نَطَق بهما التنزيلُ، أي أنهما قد وردَا في كتاب الله تعالى.

الرزاق ﷻ؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: 58]. والرَّزاق: هو الذي يَرزق رزقًا كثيرًا واسعًا، وهي صورة من صُور المبالغة، كما ذكرنا في «الغَفَّار» سبحانه وتعالى.

الرَّازق ﷻ: وعندما طلب عيسى عليه السلام من الله جل وعلا أن يُنَزِّل عليه المائدة من السماء وأن يرزقه، قال عليه السلام: ﴿**وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المائدة: 114].

فهو الرازق وهو الرازق وهو خير الرازقين سبحانه وتعالى.

فالسند الأول لكون اسم الرزاق من أسماء الله الحسنى: أنَّه ورد في كتاب الله تعالى، والسند الثاني له أنه ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والسند الثالث: أنه أجمعتْ عليه الأمة.

ولكن هل يجوز إجراء هذا الاسم على العباد؟

نعم يجوز إجراؤه على العبد وصفًا مُنكَّرًا، بأن يقال عليه: «رازق» إذا وُجد مَدْلولُه فيه بلا خلاف، فإذا وُجد مدلولُ هذا الاسم في أحدٍ من البشر جاز إطلاقه عليه، فيقال: «فلان هذا رازق»، يعني: يَرْزُق مَن يُعول، يرزق مَن يقوم بأمرِهم وشأنهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المائدة: 114]، فإن أَفْعَل التفضيل هنا يُستعمل بعد المشاركة، يعني: هو خير من رَزَق سبحانه وتعالى، كأنَّه يقول: إن هناك من عباده مَن أجرى

عليه هذا الوصفَ، فيَرزقون غيرَهم، أو يُطلق عليهم أنهم عندما يُعطُون غيرَهم من المال أو الغذاء أو الكساء وهو رزق الأبدان، أو رِزْق القلب كأن يعلمونهم مثلًا العلم النافع، فيطلق عليهم حينئذٍ هذا الوصف.

و**الرَّزقُ** – بفتح الراء – يعني: رَزَقه مرةً واحدةً، أي: أعطاه مرةً واحدةً. والجمع: رزقاء، وهي أسماء الجُنْد. و«ارْتَزَقَ الجُند» أي: أخذوا أرزاقهم، يعني: أخذوا مُرتباتهم. وقوله تعالى: ﴿**وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة:82]، أي أنكم جعلتم شُكرَ رِزْقكم التكذيبَ! وهناك لهذه الآية تفسير آخر جميل: وهو أنكم تجعلون رِزْقكم – مِنْ حَظِّكم مِن كتاب ربكم الذي يَنفعكم به اللهُ في الدنيا والآخرة – التكذيبَ!

ويُسمى المطر رزقًا، كما قال تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقًا**﴾ [غافر: 13]؛ لأن المطر سببٌ للرزق، فمنه إنبات الأرض وإخراج النبات، ويعود بعد ذلك بالرزق على البشر.

وقد يراد بالرزق كلَّ مقسوم، فكل ما قَسمه الله تعالى حتى يُستعمل في العلم والجهل، فهو رزق. وسائر الحظوظ مَقْسومة، قد قَسَمها الله تعالى للنفوس والأبدان. ولهذا قال جماعة من القدماء في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: 3]، أي: ومما عَلَّمْناهم يُعَلِّمون.

فالرزق على المعنى الأول - رَزَق يَرْزق رِزْقًا، فهو رازق، ورَزَّاق للمبالغة - هو في أصل التعريف ما انتفع به المرء، والجمع: الأرزاق. والرزق هو العطاء، فيقال: «رزقه اللهُ تعالى»، يعني: أعطاه.

وتعريفه على المعنى الثاني أن الرزق يُراد به كل مقسوم، فالرزق ما انتفع به عموم الخلق.

وسبق أن ذكرنا أن سليمان عليه السلام سأل اللهَ تعالى أن يُضيف يومًا جميع الحيوانات، فأَذِنَ له. فأخذ سليمانُ في جمع الطعام مدةً طويلة، فأرسل اللهُ تعالى حوتًا واحدًا من البحر، فأكل كل ما جمع سليمان عليه السلام في تلك المُدة، ثم استزاده – أي طلب منه طعامًا أكثر من ذلك – فقال سليمان: لم يَبْق لي شيء! أنت تأكل كل يوم مثل هذا؟! فقال الحوت: رِزقي في كل يوم ثلاثة أضعاف هذا، ولكنَّ الله تعالى لن يطعمني اليوم إلا ما أطعمتني أنتَ، فلَيْتَك لم تُضِفْني، فإنِّي سأبقى طوال اليوم جائعًا!

***

وأما أرزاق القلوب وهي المعارف والعلوم التي أشرنا إليها في الأرزاق الشريفة، فإنها تنقسم هي الأخرى إلى قسمين: طيبة، وخبيثة.

فالعلوم الطيبة الصافية: هي التي تحلُّ في القلب بواسطة الملائكة. فأرزاقُ القلوب التي ينبغي أن تكون مِن همِّ المؤمنين المتقين، اللهُ سبحانه وتعالى يهبها مَنْ يشاء من عباده. فمنهم من يَهَبه الله تعالى من العلم ما لو قُسم نوره على أهل الأرض لوَسِعهم، وآخر لا يعطيه إلا قوام نفسه، فلا يتعدى إلى غيره، وثالث مغلوب عنه قد مات قلبه فلا فرق بينه وبين البهيمة! وأنت تنظر كيف يكون حالك مع الله تعالى في هذه المسألة، وكيف أعطاك أو بسط لك أو قتَّر عليك، وأنَّك في محل اتهام نفسك في هذه المسألة والحزن عليها؛ أنَّه لم يهبك سبحانه وتعالى هذه العلوم الشريفة التي تتقرب بها إلى ربِّك، وتحبُّ بها ربك، وتشتاق بها إليه سبحانه وتعالى، وتَطَّلِع بها على المعارف والعلوم التي هي حظُّ النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا**﴾ [النساء: 113]. فانظر إلى هذا

الفضل، هل أخذتَ منه شيئًا؟ أو أنك لا تفكر فيه أصلًا؟! إنَّ ذلك لَباعِثٌ على التفكير في كيفية تحصيل هذه المعاني الجميلة الشريفة من الله تعالى.

وأمَّا العلوم الخبيثة: فهي التي تحلُّ في القلب بواسطة الشياطين، كالتي تأتي في قلب المرء من الأحوال والعلوم التي تُخرِّب قلبَه، وتُشتِّت ذهنَه، وتجعله يُقْبِل على الدنيا وصُوَرِها، ويقعُ بسببها في المعاصي والذنوب والسيئات، ثم تكون بعد ذلك سببًا في غفلته عن ربه جل وعلا وعن آخِرَتِه... إلى غير ذلك من أمور الآخرة والجنة والنار والبعث والحساب والصراط.

فهو ﷻ الذي يرزق الرزقَ بعد الرزقِ ويُكثِره ويُوسِّعه ﷻ.. يرزقُ الرزقَ بعد الرزق ويوسِّع الرزق ويُكثر الرزق... وهكذا.

وهو ﷻ المُتكفِّل بالرزق، وهذه المسألة سنذكرها في شرح الآيات إن شاء الله تعالى في معنى تَكَفُّلِه ﷻ بالرزق، يعني أنه كما يقال في المثل: «مَن كان رِزقه على الله فلا يحزن»، فهو المُتكفِّل برزقك والقائم على كل نفس بما يُقيمها مِن قُوتِها.

***

مسألة: هل ما حصَّله الإنسانُ من حلال أو حرام يُعَدُّ رزقًا؟

هل الحلال والحرام كلُّه رزق، أم أن الحلال وحده هو الرزق مثلما يقول المعتزلة؟ فإنَّ أهل السُّنَّة يقولون بأنَّ الرزقَ الذي يصلُ إلى المرءِ حلالًا أو حرامًا هو رزق الله، والعبدُ هو السبب في تحصيل هذا الرزق بهذا الحال.

فكل ما وَصَلَ إلى المرء من حلال أو حرام فهو رزق الله تعالى، على معنى جَعْلِه قُوتًا ومعاشًا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: 10،11]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]. إلا أنَّ الشيء إنْ كان مأذونًا له في تناوله فهو رزقٌ حلال حُكْمًا، وأمَّا ما كان منه غير مأذون فيه فهو حرام حُكْمًا، وجميع ذلك رزقه ﷻ؛ وهذا مذهب أهل السنة. والمعتزلة يقولون: إن الحرام ليس برزق؛ لأنه لا يَصِح تَمَلُّكُه. وهذا فاسد؛ لأن المسلمين أجمعوا على جواز التضرع لله تعالى والاجتهاد إليه بأن يَرزقهم الحلال من الرزق. فلو لم يكن الحرامُ من الرزق رزقًا، ما كان للمسلمين أن يدعوا اللهَ أن يرزقهم الرزق الحلال، وألا يُمَلِّكَهم الحرام.

وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود:6]، وقوله: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15]. قال بعض العلماء: فذِكْرُ المغفرة إشارةٌ بعد ذلك إلى أن الرزقَ قد يكون فيه حرام. وكل هذه الآيات سنعود إليها في تفسيرها الموضوعي إن شاء الله تعالى.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(1).

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده (2/ 50) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وصحَّح إسنادَه الحافظُ العراقي في تخريج الإحياء (2/ 81)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2831). ولفظه: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».

الفرق بين القُوت والرزق

القُوت: ما به قوام بِنية الإنسان، مما يُؤكل ويَقَعُ به الغذاء، **أَمَّا الرِّزْق**: فكلُّ ما دخل تحت مِلْكِ العبدِ مما يُؤكل ومما لا يُؤكل. فالقوتُ ما يكون سببًا لغذاء البدن، وأما الرزق فهو أعمُّ: أن يعطيك الله تعالى مالًا فهو رزق.. أن يعطيك صحة فهو رزق.. أن يعطيك لسانًا فصيحًا فهو رزق.. أن يعطيك دارًا فسيحة فهو رزق.. أن يعطيك طعامًا طيبًا فهو رزق.. أن يعطيك طعامًا حلالًا فهو رزق.. أن يعطيك أي شيء فهو يدخل في معنى الرزق، أمَّا القوت فهو ما يقع به الغذاء فقط.

وقد حصر رسول الله ﷺ وجوه الانتفاع في الرزق في قوله: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: "مَالِي مَالِي"! قَالَ: وَهَلْ لَكَ – يَا ابْنَ آدَمَ– مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**»(1).

يقول المرء: نقودي.. أموالي.. تريدون أن تأخذوها.. وكذا وكذا.. ستنفد.. سأفتقر!..

وكأن النبي ﷺ يَرُدُّ عليه بأنَّ كلَّ ما سوى ذلك أيها المرء، فإنَّك ذاهبٌ وتارِكُه للناس. أما أموالك ونقودك ومُدَّخَراتُك على الحقيقة فهي محصورة في هذه المعاني: ما أكلتَ، وما لبستَ، وما تصدقتَ. يقول ابن آدم: مالي مالي، وفلوسي وحاجتي، فيردُّ عليه بأن هذا ليس مالَك، فإنك ذاهبٌ وتارِكُه للناس، إلا ما أكلت فأفنيتَ، أو لبستَ

---

(1) رواه مسلم (2958) من حديث عبد الله بن الشّخير رضي الله عنه، ط 1، عيسى البابي الحلبي، 1374هـ.

فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وهذه هي الوجوه التي حصرها النبي ﷺ في الانتفاع بالرزق.

وفي معنى الأكل يدخل الشرب كذلك وغيره مما يتناوله الإنسان أو يدخل في جوفه، وفي معنى اللباس يدخل الركوب وغير ذلك.

والقوتُ رزقٌ مخصوص، وهو المضمون من الرزق، الذي لا يَقْطعه عجزٌ ولا يَجْلِبه كيس، وهو الذي أراد الله تعالى في قوله: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا**﴾ [هود:6]، فلا ينقطع هذا الرزق إلا بانقطاع الحياة. وهل تنقطع الحياة بانقطاع هذا النوع من الرزق؟ ما زال العلماء من أهل الحق يقولون: لا، يمكن أن ينقطع هذا الرزق ولا تنقطع الحياة، وقد رأينا من عاش شهرًا أو شهرين من الأولياء دون أن يطعم شيئًا أو أن يشرب شيئًا.

من معاني الرزاق

- ومن معاني الرزاق أنه المُفيض على عباده، ما لم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به. وحظُّك من هذا المعنى، أن يجعلك الله واسطة بينه وبين عباده في أن تعطي بإفاضة.. أن تعطي ما تعطيه كاملًا مُوَفَّرًا طيبة به نفسك، كما قال النبي ﷺ.

ونحن نذكر هذه المعاني في معنى الرزَّاق حتى يتفتح ذهن المرء على حظه منها، كما ذكرنا مئات المرات: أن كل كلمة تُقال لك وتَصِل إليك إنما أنتَ المقصود بها، فلا بد أن تعلم ما رزقك منها، وما حظُّك منها، ولا بد أن يكون لك حظٌّ من هذه الكلمات التي تقال ومن هذه المعاني التي يُشار إليها حتى تأخذ هذا الحظ.

- والرزاق هو المُنعِم عليهم بإيصال حاجتهم من ذلك إليهم؛ لئلا تَنغصُ عليهم لذة الحياة الدنيا بتأخُّره عنهم، ولا يفقدوها أصلًا بفقدهم إياه. وهذا المعنى قد أشار إليه الإمام الحليمي وهو من أئمة الشافعية.

فهو إذن الذي أفاض النِّعم، وهو الذي أنعم عليهم بإيصال هذه النعم والأرزاق والحاجات إليهم.

وانظر إليك إنما تنتظر أن يسألك إخوانك! لا تبحث على أن تعطيهم أو أن تفيض عليهم، وإنْ أعطيتهم فبِتَقْتيرٍ ومَنٍّ، وإذا أعطيتَ فبعد ذلك بالأذى تقول: أعطيتُه، ومَنَحْتُه، وقُمْتُ له.. وهو لا يُراعي.. وهو لا يُقَدِّر... وهذه هي قلة الأصل.

أَمَّا المولى الكريم ﷻ فقد أفاض على عباده ما لم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به، وأنعم عليهم بإيصال كل ما يحتاجون إليه من ذلك الرزق والقوت إليهم، وذلك حتى لا

تَنَغَّصَ عليهم لذة الحياة الدنيا وتُظلم في وجوههم بتأخر ذلك الذي به قوام حياتهم ومعاشهم عنهم، بل قد يفقدوها أصلًا لفقدهم إياه.

فيجب على كل مسلم أن يعلم ألا رازق ولا رزاق إلا اللهُ تعالى على الإطلاق وحده، وأنْ يَعْلَم أنَّ غيرَه وإنْ رَزَقَ أو أعْطَى فإنَّما يَرْزُق مِنْ رِزْقِ الرَّزَّاق الذي أعْطَى كل شيء ﷻ. وحينئذٍ إذا علمتَ ذلك فإن حظَّك أن تَرزق غيرَك مما رَزَقكَ اللهُ، فيأتيك الخلفُ من الله تعالى، أي: أَعْطِ وهَبْ وأنْعِمْ وتَفَضَّلْ، ولا تَبْخَلْ بما رزقكَ اللهُ تعالى حتى تَتَّصِفَ بهذه الصفة أولًا، وكذلك أن تنتظرَ أنْ يُخْلِفَ الله تعالى عليك، فإنَّ المرءَ عندما يُنفق مما جعله اللهُ مُستخلَفًا فيه، فإنَّ الله تعالى يُنفق عليه، كما قال المولى: ﴿**وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [سبأ:39].

***

وإذا درَّ الله تعالى عليكَ من الرزق الظاهر – وهو القوت – فلا تَدَّخِرْه تحت مخادِع[1] البُيوت، بلِ اخْزنه في سُرادق الملكوت يزداد نماءً. وذلك كما سأل أحدُهم أحدَ الأئمة قائلًا: إنَّ عندي نقودًا أريد أن أدَّخِرَها. فقال له الإمام: فادَّخِرْها عند الله تعالى! إذا خفتَ عليها من السرقة أو الضياع فلا تشتري لها خزانة، أو تَضَعها في بنك... إلى غير ذلك من محاولات حِفْظها، ولكنْ خُذْها فاحفَظْها عند الله تعالى.. خُذْها فتَصَدَّقْ بها:

(1) «المخادع» جمع مخدع، وهو الحجرة في البيت والخزانة. انظر بتصرف «المعجم الوجيز»، مادة: [خ د ع].

«مَا نَقَصَ مَالُ عبدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»[1]، لن يقلَّ المالُ بل سيزيد، فما أقبح بالمرء أن يكون بطنُه مملوءًا وأخوه جوعانُ!

***

ثم إذا أَعْوَزَكَ الرِّزْقُ، أي إذا بطأ عليك أو تأخَّرَ عنك، وأنتَ تجلس مهمومًا: ماذا تفعل وبِمَ تقوم؟ وكيف؟ والأولاد... وغير ذلك. إذا أعوزك الرزق وتأخَّر عليك، فلا تطلبه بكثرة الحرص. وهذه هي المصيبة التي نحياها اليوم: الرزق يقل وهو يحرص على كيفية الحصول عليه من هنا ومن هناك، فإذا حصَّله فإنه يُمسك فيه بأيديه وأسنانه، لا ينفقه، ولا يتصرف منه، ولا ينال حظه من الله جل وعلا.

فإن طلبته بكثرة الحرص، فلا يزيدك في الرزق المقدَّر إلا ما قَسَمه لك ﷻ وقَدَّر، فاطلب منه أعلاه وأجَلَّه وأصْفاه وأحلَّه؛ قال النبي ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ؛ فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا؛ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ: خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»[2].

فإذا سلكتَ هذه المذاهب، كنتَ مُتَعَلِّقًا بالرازق ﷻ من كل جانب، وانتفعتَ بالرزق، وانتفع به غيرُك، حتى لم ينقبض عنهم خيرُك. وحينئذٍ يبعث الله لك الرزق الظاهر والباطن، ويعطيك منه مددًا كثيرًا.

---

(1) أخرجه بنحوه الإمام مسلم في صحيحه (2588) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه، وأخرجه بهذا اللفظ الترمذي (2325) وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

(1) رواه ابن ماجه في سننه (2144)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (1756).

الدرس الثاني

نظرةٌ إجماليةٌ في الآيات الواردة في اسم الله تعالى: الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

تكلمنا فيما مضى عن أهمية الأسماء الحسنى وقلنا: لا بد أن تأخذ هذه القضية الاهتمام الكافي من المرء المؤمن الذي يؤمن بالله تعالى ويتعلق به، والذي يسعى لتحصيل أسباب نجاته في الآخرة. وهذا مهم جدًّا؛ لأنه ليس هزلًا وليس مضيعةً للوقت، وإنما هذه هي آخرتُه التي يسعى إليها بجِدٍّ، والتي يجب أن يأخذ فيها الكتاب بقوة، كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: 12]. والتخاذلُ فيها والتكاسلُ عنها دليلٌ على عدم إقبال المرء

على الله تعالى، ودليلٌ آخرُ على مسألة مهمة وهي: أنه إذا أراد المرءُ أن يعرف قدْرَه عند الله تعالى، فلْيَعرِفْ قَدْرَ الله عنده. تُريد أن تعرف ما هي منزلتُك عند الله تعالى؟ فهي أن تعلم منزلة الله عندك. يعني: تَقيس اهتمامَك بربك وتوحيدَك له وإقبالَك عليه ولزومَ سبيل الاستقامة له وبذلَ المال والجُهْد والنفس والوقت... تقيس كل ذلك حتى تُقَدِّر قيمتك عند الله تعالى، وبهذه القيمة يتضح الأمر. والتخاذلُ والتكاسلُ والتواني والنومُ والوقوعُ في الغفلة وتركُ الإقبال على الآخرة وعدمُ الاستعداد لها... كلُّ ذلك يُبين عكس ذلك.

وهذه المسألة يجب أن يحفظها المرء ويُداوم عليها: أن تعرف قَدْرَك عند الله بقَدْرِ الله عندك، ومنزلتَك عند الله بمنزلةِ الله عندك، وهكذا، يحفظها. تَرى مثلًا في صلاتك ما قَدْرُ الله عندك؟ إذن هي منزلتُك، في الصيام كذلك.. في الذكر كذلك.. في الاستعداد للقاء الله تعالى كذلك.. في تقديم المال والنفس كذلك.. في محبة لقاء الله تعالى كذلك.. في الاهتمام بالعلم والوصول إلى الله ﷻ كذلك.. في عدم استكثار الوقت والمال والجهد على الله تعالى كذلك. وإنْ أنتَ صِرْتَ هكذا إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يُقَدِّمُكَ على غيرك، ويُؤْثِرُكَ على غيرك، ويرفع منزلتك. تُرى كيف رُفعت منزلةُ هؤلاء الذين رَفَع اللهُ تعالى منزلتَهم في الأولى - الدنيا - وكذلك في الآخرة إن شاء الله تعالى؟ كيف رُفعت منزلة هؤلاء الأعلام والمشاهير والنبلاء من أهل العلم والمؤمنين؟ كيف رفع الله تعالى ذِكْرَهم وأعلى منزلتهم ووَضَع الثناء والمحبة في قلوب الناس لهم، فلا يُذكرون إلا ويُذكر معهم الثناءُ والمدح الذي وضعه الله تعالى في قلوب المؤمنين لهم، وكذلك بما وضع الله تعالى من محبتهم وأنَّ محبتهم من محبة الله تعالى.

فلينظر المرءُ هذه المسألة ويجعلها هي ذِكْرَه ودَيْدَنَه، وكما قلنا في الزمن الماضي عندما تكلمنا في شرح اسمه «الرقيب» واسمه «الشهيد» ﷻ: أنه عندما يريد المرء أن يتعلم كيف يكون الربُّ جل وعلا رقيبًا عليه يقول: «اللهُ ناظرٌ إليَّ.. اللهُ مُطَّلِعٌ عليَّ..»، وكان السلف الصالحون يعلِّمون الأولاد الصغار هذه الكلمات حتى يتعودوا أن يكونوا مراقبين لله تعالى: «اللهُ ناظرٌ إليَّ.. اللهُ مُطَّلِعٌ عليَّ.. اللهُ ناظرٌ إليَّ.. اللهُ مُطَّلِعٌ عليَّ..»، فتَحْفَظُه هذه الأذكارُ البسيطة القليلة في أن يراقب ربه ﷻ، فلا يقع في معصيته، وتحفظه في أن يراقب ربه فيسارع إلى محبته ﷻ؛ لأنه عندما يرى ربَّه مُطَّلِعًا عليه ناظرًا إليه مراقبًا له شهيدًا على عمله، إذا به يكون أكثر اجتهادًا وبذلًا وإخلاصًا وصدقًا. كما يظن المرء في أعمال الدنيا أن رئيسه أو كذا أو كذا مطلعٌ عليه أو ناظرٌ إليه، فتراه يحرص على أن يُتقن عمله وأن يخلص فيه وأن يبذل جهده وأن يُرِيَ الناظرَ له أنه على أحسن حالٍ من البذل وأنه لم يُبْقِ جهدًا ليبذله. فكذلك عندما يَعلم أن اللهَ تعالى مطلعٌ عليه ناظر إليه، إذا به لا يَفْتُر عن ذكره ﷻ ولا يغفل عنه، وإذا وَسْوَست له نفسُه شيئًا فإذا به يرى اطِّلاعَ الله تعالى عليه ومراقبتَه له.

هذا الاسم، بل كل الأسماء التي شُرحت، لا بد أن تكون من مهام المؤمنين في سماعها ومذاكرتها؛ لإصلاح سَيْرِهم وقلوبهم وأعمالهم إلى الله تعالى، وكذلك لإصلاح إخلاصهم وصدقهم وبذلهم، وإخلاص أعمالهم مع الرب جل وعلا، وإصلاح علاقاتهم كذلك بالناس. وهذا يدفع المرءَ بعد ذلك إلى التحرك لدين الله تعالى والبذل له، وأن يسترخص روحه ونفسه ليبذلها لله تعالى.

انتهينا في الدرس الأول من التعليق على كلام أهل العلم في اسمه «الرزَّاق» ﷻ، وقلنا: إن الرزق نوعان: رزق الأبدان وهو الرزق الظاهر، ورزق القلوب والعلوم ومعرفة الرب ﷻ وما يتعلق بتغذية الروح والنفس والذي يكون سببَ إقبالها على الله تعالى ومحبتها ومسارعتها إلى الله تعالى؛ وهو أشرف الرزقين.

ونبدأ في الكلام عن الآيات المتعلقة باسمِ الله «الرزاق» وقضيةِ الرزق. ومَنْ يطالع هذه الآيات سيرى عجبًا؛ فإن هذا الاسم المشرف أخذ مساحة واسعة من كلام الله تعالى في القرآن الكريم، يعني أخذ مواضع كثيرة من القرآن وآيات كثيرة ذكرها الله تعالى، وإذا بهذه الآيات تجمع الموضوع، تجمع كل ما يتعلق باسم الله الرزاق وقضية الرزق وأن الله تعالى هو الرازق، وبعد ذلك أنه له ﷻ ملكوت السماوات والأرض، وأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر، وبعد ذلك امتنَّ الله تعالى على المؤمنين بالرزق، فأمرهم أن يأكلوا من رزق الله، ولكن بشروط ذَكَرها كذلك، ثم أمرهم بالإنفاق من هذا الرزق، ثم بيَّن الرزق في الآخرة، كأهل الجنة الذين يُرزقون فيها بغير حساب، وبيَّن الطريق الموصل إلى تحصيل الرزق في الأولى والآخرة.

الآيات المتعلقة برزق الله الواسع

- الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58].

وهذه الآية الكريمة تبين كيف يكون المرء متعلقًا بالله تعالى مُوحِّدًا له؛ حيث إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. وذكرت الآية أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، حتى يكون عند المرء المؤمن اعتقادٌ في أن الله تعالى لن يتخلى عنه. بمعنى أن المرء القوي مثلًا يمكن

أن يكون سببًا لرزق أولاده في الدنيا أو لرزق مَنْ يَعول أو من يقوم على مسئوليتهم، ولكن هذا المرء القوي صاحب الرزق لأولاده يمكن أن يضعف عن تحقيق أسباب هذا الرزق لهم فيضعف الرزق، أو يمكن أن يضعف هذا المرء القوي فيحتاج إلى من يساعده في تحصيل هذا الرزق من ولد أو مُشارِكٍ أو غيره. فدلت الآية إذًا على أنه يمكن لأي أحد أن يكون مُفْتَقِرًا أو أن يكون ضعيفًا فلا يستطيع أن يحصِّل أسباب الرزق كلَّها، أو أن يكون محتاجًا إلى من يساعده في تحصيل أسباب هذا الرزق. مَنِ الذي قد استطاع في الدنيا هذه من أولها إلى آخرها أن يحصِّل رزقه بنفسه؟! من الذي لا يحتاج إلى أحد في تحصيل أسباب الرزق.. في أن يقوم له بشأنه.. في أن يوزِّعه له.. في أن يساعده.. في أن يشتغل له.. من الذي لم يَحْتَجْ إلى أحدٍ في ذلك؟! لذلك رأينا في هذه الآية أن الله تعالى وحده هو الرزاق ذو القوة المتين.

وذكرنا الفرق بين «الرزَّاق» و«الرازق»، وقلنا إن الرزاق هو الذي يرزق مرةً بعد مرة بعد مرة، فلا ينفد رزقُه ﷻ أبدًا.

– الآية الثانية: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19].

لذلك تجد الرزق مع القوة يدل على عدم ضعف الرزق، وعلى عدم انقطاعه، وعلى عدم الاحتياج إلى أحد في إعطاء هذا الرزق، وعلى دوام هذا الرزق، وعلى سعة هذا الرزق، وعلى كِبَر هذا الرزق، على قدر هذا القوي العزيز ﷻ.

وهذا يبين للمرء هذا المعنى وهو: كيف يُحصِّل المرءُ حظَّه من هذا الاسم؟ وذلك بأن يتعلق بالله تعالى، فلا يطلب الرزق إلا منه.

ولكن نذكر أولًا سعة رزق الله كما تكلمنا على سعة كرم الله تعالى، حتى يُوحِّد المرء ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- الآية الثالثة: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: 54].

وتجد المرء الضعيف الإيمان الذي يخاف على رزقه، تجده يتشكك في رزق الله تعالى إذا تأَخَّر عليه، تقول له: اصبر واستعن بالله تعالى؛ فإن الله هو الرزاق وهو الذي سوف يرزقك. فيقول: من أين يأتي الرزق؟ و«السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»! وكذا وكذا. وهذا تَشَكُّكٌ في رزق الله تعالى، وتشكك في قدرة الله تعالى، وكأن الله لا يملك شيئًا، وكأن الله تعالى لا يقدر على أن يرزق هذا المسكين الفقير الذي لا يساوي شيئًا في خلق الله تعالى منذ خلق السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾، ما له من نفاد في الأولى والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: 40]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62].

وهذه الآية تحتها معانٍ كثيرة:

المعنى الأول: أن الله تعالى هو الرزاق، وأن رزقه واسع ما له من نفاد، أي لا نهاية له، وأن له ميراث السماوات والأرض، وله ملكوت السماوات والأرض جل وعلا.

والمعنى الثاني: أن الله تبارك وتعالى لما قال بأن رزقه ما له من نفاد، أَمَرَهُم بأن يأكلوا من هذا الرزق، فقال: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ [سبأ: 15]، ولكن هل قال: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ فقط؟ لا، بل قال: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ [سبأ: 15]. ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 172]. ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلاً طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 114].

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ [طه: 81]. ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: 60].

فبعد أن عَرَّفَهم بأنه هو الرزاق وأنه عليهم أن يُوَحِّدوه بهذا الرزق وامتنَّ عليهم برزقه، قال لهم: كلوا واشربوا كما تشاءون من هذا الرزق، ولكن هذا الأكل لا بد أن يكون منضبطًا بهذه القواعد التي ذكرها في عدم الطغيان وتقديم الشكر وألَّا يَعْثَوْا في الأرض فسادًا... إلى آخر هذه المعاني.

المعنى الثالث: ثم بعد أن يأكلوا ويستكفوا من رزقه، أمَرَهم بأن يُنفقوا منه، فقال تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: 254]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المنافقون: 10]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7]. ولم يترك لهم سبيلًا إلا أن ينفقوا: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: 7].

المعنى الرابع: ثم أثنى ﷻ على المنفقين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]. ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 35]. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: 134].

المعنى الخامس: ثم بعد ذلك بيَّن عاقبة الإنفاق، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ [سبأ: 39]. إذا أنفقت مائة جنيه هل سيعطيك مائة مثلهم؟ لا.. هو أكرم منك وهو أكرم الأكرمين، لا يعطيك مائة جنيه فقط، بل النفقة عنده بسبعمائة ضعف إلى أضعاف

كثيرة، حتى يطمئن المتشكك الذي يخاف ألا يُخلِف الله عليه، ونقول له كما قال النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عبدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»(1).

المعنى السادس: ثم عتب عليهم وعلى الكفار وعلى كل الناس عدمَ إنفاقهم، فقال: ﴿**وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ**﴾ [النساء: 39]، أي: ماذا سيحدث لهم لو أنفقوا مما رزقهم الله ﷻ؟!

***

فهذه الآيات هي رءوس المسائل التي ذكرها الله ﷻ في قضية الرزاق، والرزق، وأنه ﷻ هو خير الرازقين.

---

(1) أخرجه بنحوه الإمام مسلم في صحيحه (2588) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه، وأخرجه بهذا اللفظ الترمذي (2325) وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ)، وتمامُ نص الحديث عنده للفائدة:

عن أَبي كَبْشَةَ الأَنّمارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « **ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ:** » . قَالَ: « **مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا -، **وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ:**

قَالَ: « **إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً؛ فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ،**

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً؛ فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ" فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ،

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً؛ فَهُوَ يَخْبِطُ فِى مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ،

وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ" فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ ».

طُرق تحصيل الرزق

1 – تقوى الله تعالى

وبعد ذلك بيَّن الله تبارك وتعالى أن طريق الرزق وتحصيله هي تقوى الله تعالى، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: 4]. فبَيَّن ﷻ لهؤلاء الخائفين على أرزاقهم.. هؤلاء الذين ضُيِّق عليهم.. هؤلاء الذين تَعَسَّرت أمورُهم ولا يجدون مخرجًا مما هم فيه.. بَيَّنَ لهم طريقًا من طرق تحصيل هذا الرزق وهي تقوى الله تعالى. فإذا تعسَّرَ أمرُك أيها المسكين، وظننتَ أنك انتهيت إلى الهلاك، وظننتَ أنه لن يُغيثك أحد ولن يقف إلى جوارك أحد، وانفضَّ عنك الناس؛ إذا بالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 2، 3].

2 – الصلاة

ثم بين ﷻ للذي قد تَعقدت عليه أموره أن الصلاة من أعمال التقوى التي ترفع عنه ذلك الضيق: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: 132]. وكان الصحابة رضوان الله عليهم أول ما يضيق الرزق عليهم وتتعسر أمورهم، كانوا يقولون: الصلاة الصلاة، قوموا وصلوا، قوموا وصلوا؛ فينفرج الأمر وينزل الرزق.

3 – الدعاء

ثم بَيَّنَ لهم ﷻ أن الدعاء كذلك من أسباب نزول الرزق: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: 114]، وكما ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

فهذه طرق يبينها المولى ﷻ كذلك في هذه الآيات بهذا المعنى.

***

والمعنى التالي هو أن الله تبارك وتعالى أمَرَهم بذِكْره حال الرزق: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الحج: 28]. وكأن شكر الله تعالى على هذا الرزق الذي رَزَقهم به لا ينتظر منهم إلا أن يذكروه ﷻ، كأن ذِكْر الله تعالى على الرزق هو الشكر له. وهذا المعنى ينبغي أن يتعلمه المرء؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[1].

الرزق في الآخرة

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: وهي مسألة الشهادة في سبيل الله؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]. مع أنه كان من الممكن أن تُقال

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2734) من رواية أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه يرفعه.

كلمة أخرى غير ﴿يُرْزَقُونَ﴾، كأن يقول مثلًا: «يتنعمون»، لكنه بيَّن ﷻ أن هؤلاء الشهداء يُرزقون، يعني لا ينقطع عنهم رزقُهم في الآخرة. وكذلك قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًا﴾ [الحج: 58].

لذلك يبين ﷻ ويقول: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: 4]، ليس أي رزق كما ذكر الله تعالى. وهذا يبين رزق الآخرة الذي قال فيه ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: 54]، ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: 62]... إلى آخر الآيات التي ذكر الله جل وعلا: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ [البقرة: 25].

وهذا يبين هذين المعنيين:

المعنى الأول: معنى من قُتل في سبيل الله، وهو أن رزقه جارٍ عليه، وكذلك المؤمنون عندما يدخلون الجنة لهم رزقهم فيها كما قال تعالى: ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: 40].

وهذه المعاني التي بينتها تلك الآيات الكريمات مرتبطة بهؤلاء الذين كان لهم الرزق الشريف في الدنيا وهو معرفة الرب ﷻ وتوحيده وعبادته والعلوم الموصلة إليه جل وعلا، حيث ذكرنا أن الرزق في الدنيا نوعان: رزق الأبدان، ورزق القلوب.

إذًا رءوس المسائل التي ذكرناها:

1 - أن الله تعالى هو الرازق.

2 - منة الله على المؤمنين بالأكل من هذا الرزق وتوسعة الرزق لهم ولكن بشروط: بالشكر، وعدم الطغيان، وألا يعثوا في الأرض مفسدين.

3 - الإنفاق مما رزقكم الله ويندرج تحته:

أ- الأمر بالإنفاق.

ب- الثناء على المنفقين.

ج- تَبْيِين عاقبة الإنفاق: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: 39].

د- والمسألة التي بعدها هي عتابه عليهم: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: 39].

4- تقوى الله هي الطريق إلى الرزق ومنها الصلاة.

5- خيرية رزق الآخرة على رزق الدنيا: فرزق الله تعالى هو الخير، فلو تعارض أمر الله تعالى مع رزق الدنيا، فإن المرء يقدم أمر الله تعالى فيحصِّل رزق الدنيا والآخرة، يحصل الرزقين مع بعض؛ لأن حال الناس في الدنيا إذا تعارض درس العلم أو تطويل الصلاة مع هذه الدنيا، أو القيام.. الذكر.. الإنفاق.. البذل... أي شيء من هذه الأمور، تجده يُقدِّم فيها مصالح الدنيا؛ يقول لك: إني متأخر، ووراءي شغل، غدًا سأستيقظ مبكرًا، كذا وكذا، كل هذه القضايا الله تعالى أجملها في آية مهمة وهي قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

فلو تعارضت التجارة واللهو، حيث لم يذكر الله تعالى التجارة فقط ولا اللهو فقط، فلو ذَكَر اللهو فقط كان الناس قالوا: نعم اللهو يتعارض مع أمر الله تعالى، لا شك في أن طاعة الله مقدمة على اللهو. إنما قال: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾. والتجارة هذه مسألة عامة وإن كان مخصوصها هم العرب لأنه كان غالب أعمالهم التجارة، إنما هذه المسألة تشمل كل ما يمكن أن يصدك عن الله تعالى. ويبين لك المولى ﷻ أن ما عند الله خير من ذلك، لذلك قال: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: 72] ﷻ.

ونحاول أن نذكر ما يمكن أن يكون سببًا لتقوية الإيمان بالله تعالى، وأن يكون سببًا لتعلق الناس بربهم جل وعلا، وألا يتكل الناس على الأسباب، وإنما يتكلون على مُسبِّب الأسباب ﷻ، وألا يجعلهم الرزق يُقصرون في أمر الله كائنًا ما كان. يأتي لي بعضهم مثلًا ويقول لي: أريد أن أعمل في المكان الفلاني ولكنهم يريدون أن أحلق ذقني، فماذا أفعل؟! نقول له: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وأنتَ إنْ قدمتَ أمرَ الله تعالى فإن رزق الله سيسوقه إليك، ولا يمنعه عنك كراهية كاره ولا يسوقه إليك حرص حريص. فيتعلم المرء كيف تكون أوامر الله تعالى وطاعة الله تعالى مقدمةً عنده على كل شيء، وأن محبة الله مقدمة على جميع المحاب، حينئذ يأتيه رزقه ﷻ كما قال المولى جل وعلا. وسنذكر إن شاء الله تعالى آيات كثيرة في هذه المعاني.

نقول أول شيء:

1- إن الله تعالى تفرد بالرزق لكل دابة وضمنه لها، فالله تعالى هو الرزاق كما ذكر عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58]، فالله تفرد برزقهم كما تفرد بخلقهم، أليس كذلك؟ لذلك قال المولى جل وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]. ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 60]، كأنه يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، دابة مهما كانت صغيرة لا تحمل رزقها وأنت لا تأخذ بالك منها، من الذي يرزقها؟ هو الذي يرزقها ﷻ وكل الدواب في الدنيا، لم نسمع عن أحد مُتكفِّل برزق هذه الدواب التي تسير في الأرض أو تدب عليها أو في الصحراء أو في باطن الأرض أو في الماء... لم نسمع أن أحدًا قد وظَّف على نفسه وظيفة أن يقوم برزق هذه الدواب. ثم قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾

وليس يرزقها فقط بل أنتم مثلها وأغلب منها: ﴿يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾، فليس هناك دابة ليس لها رزق، هل هناك دابة ليس لها رزق عند الله تعالى وخلقها ولم يرزقها؟ لا.

إلى بقية الآيات...

يقول ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾ [هود: 6]، وقال تعالى في الأرض: ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: 20]. فالله يقول: جعلنا في الأرض لكم فيها معايش، وكذلك جعلنا معايش لمن؟ لمن لستم له برازقين، أأنتم ترزقونها في الحياة الدنيا.

ويبين الله تعالى أنه خلق الخلق وأنه رزقهم، فاتفق الخلق والرزق من الله وأنه هو الخالق وفي نفس الوقت هو الرازق، فلم يخلقهم ويتركهم جل وعلا وإنما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الروم: 40]، فهل يوجد واحد يعمل أي شيء من هذه الأمور؟ يخلق مثلًا أو يرزق أحدًا أو يحيي أو يميت؟ ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾..

فهذه الآية تبين أن الله تبارك وتعالى تفرَّد بالخَلْق وبالرزق وبالإماتة والإحياء، وأنه ليس ثَمَّ أحدٌ يمكن أن يفعل شيئًا من ذلك..

***

وهناك آية تجمع الرزقين وهي آية البقرة: ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: 212]. وهذا محل الشاهد كما يقول اللغويون: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾. وهذا رزق الآخرة، فكأن التقوى دليل الرزق بغير حساب في الآخرة. فهؤلاء الذين اتقوا بسبب تقواهم يرزقهم أرزاق الآخرة

أم أرزاق البدن في الدنيا؟ إذن الذي توسع في أرزاق الآخرة في الدنيا يكون رزقه في الآخرة بغير حساب، وكذلك له رزق ثانٍ.

فالله يرزق من يشاء بغير حساب، كأن الله ﷻ يبين للناس أنه ليس ثَم أحد يرزق مَنْ يشاء وليس ثَمَّ أحد يعطي بغير حساب، أليس كذلك؟ وإن أعطى فمدة إعطائه محدودة، وإن أعطى فما يعطي محدود، أما الذي يرزق بغير حساب فهو الله تعالى.

وكذلك الرزق في الآخرة لا حدود له، والله تعالى بعد ذلك وَعَدَهم المساكن والحور العين، فلهم رضوان من الله أكبر كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: 15]، وهم ﴿**وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [البقرة: 212].

فمقصدنا تبيين أن الله تعالى هو الرزاق، وأنه خلقهم ورزقهم، وأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وأن التقوى هنا الكلام عن الرزق في الدنيا والآخرة.

***

وتوجد مسألة مهمة وهي في سورة آل عمران، وهي للمتشككين جدًّا. تقول الآية: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: 37]. فهذا لمريم عليها السلام، وهي امرأة وهي في المحراب ولا تستطيع أن تعمل أو تشتغل، وكفَّلَها زكريا عليه السلام زوج خالتها على أي الروايات، و﴿**كُلَّمَا**﴾ - و"كلما" هذه للتكرار، تُكَرِّرُ ولا تَتكرر كما يقول النحويون - ﴿**دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾، فهو يدخل عليها ليأتي لها بالرزق لأن أمها قد نَذَرَتْها لله تعالى: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي**﴾ [آل عمران: 35]. فإذًا به يجد عندها الرزق: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾، فقال لها: ﴿**يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ**

هَٰذَا﴾، فردتْ عليه: ﴿**هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾. من أجل المشككين الذين يقولون: كيف يأتيني الرزق إذا صليتُ؟! وهل السماء تمطر ذهبًا أو فضة؟!...

وتذكرون ما قلناه في شرح اسمه «الوهاب» ﷻ عندما نزَل على سيدنا أيُّوبَ الجرادَ الذهبَ من السماء في حديث البخاري، ففتح حجره وأخذ يجمع فيه، والله تعالى يقول له: ألم أكن أغنيتُك عن ذلك؟ قال: نعم، ولكن لا غنى لي عن بركتك[(1)].

وبعض المفسرين يقولون: كان يدخل عليها في الشتاء فيجد فاكهة الصيف، ويدخل عليها في الصيف فيجد فاكهة الشتاء، ويجد لديها ألوانًا وأنواعًا من الرزق لا يعلمها ولا يستطيع هو عليه السلام أن يأتي بها؛ لذلك كان الرزق محل الاستغراب وإلا لم يكن هناك محلّ للدهشة، فلماذا يندهش زكريا؟ فإذا كان الطعام عاديًّا فسيقول: أي أحد قد أتى لها به في غير وقته أو أن أمها قد أتت لها بالطعام أو غير ذلك، وإنما وجد شيئًا لا يعلمه ولا يستطيع أن يأتي به، لذلك استغرب له. من أجل ذلك قال زكريا في دهشة: ﴿**يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا**﴾، فقالت هي: ﴿**هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾، و﴿**إِنَّ**﴾ هنا للتوكيد، ودخلت على الجملة الاسمية فزادتها توكيدًا، والجملة الاسمية تعني الاستمرار وتعني الثبات. و﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾ يعني باستمرار لا انتهاء له ولا نفاد له، ودخل عليها ﴿**إِنَّ**﴾ للتأكيد.

---

(1) هذه القصة أخرجها بنحوها الإمام البخاري في مواضعَ؛ منها حديث رقم (279) ، وهذا نصُّ الحديث فيه: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِى فِى ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: "يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟"، قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ! وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِى عَنْ بَرَكَتِكَ** » .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: 38]. لما رأى ذلك وأن الله تعالى قادر على كل شيء وأنه يرزق من يشاء بغير حساب، وأن هذه المسكينة التي لا حول لها ولا قوة، اللهُ تعالى لم يَنْسَها بل رزقها هذا الرزق الواسع التي تتكلم عليه. ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾. فدعا الدعاء الذي لا يمكن أن يعطيه أحد لأحد وهو أن يرزقه الولد، فمن الذي سيعطي أحدًا الولد؟ فهنالك دعا زكريا ربه عندما رأى هذه الآيات الباهرات في الرزق. وهذه الآية مُساقة للمتشككين في أرزاقهم. ولم يضيعها بل رزقها ووسَّع عليها وأعطاها من رزقه الذي لا ينفد، من أجل ذلك دعا ربه زكريا. كأن الآية هذه هي التي أشعرت زكريا عليه السلام أن الله تعالى يمكن أن يرزقه الولد بغير حالة منه يعني بعد اليأس منه ومن زوجته، فزكريا دعا ربه هذا الدعاء واستغرب، تقول الآية: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: 38]، فاندهش سيدنا زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8]. يعني: كَبر لا خلفة معه ولا شيء ولا حركة وامرأته عاقر.

فمن هذه القصة المقصود أن نتبين ما الرزق، وأنه لا يقدر عليه شيء ﷻ، وأنه بيده ملكوت كل شيء وأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

وكذلك بيَّن الله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19].

وهذا من لطف الله تعالى ومن قوته، حتى ولو كان الله تعالى حال الاستيئاس أنه لطيف وحال الخوف على الرزق أنه قوي، فحال كونهم استيأسوا أن لا يوجد الرزق نقول: إن

الله لطيف ﷻ.. لا تخف، سيرزقكم ويفتح عليكم ويعطيكم ويهبكم من فضله جل وعلا وهو القوي العزيز.

والآيات لم تنس في نفس الوقت العكس، يعني الله تبارك وتعالى يقول لهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: 31]. فهنا السؤال سؤال تقريري – كما يقول العلماء – يسألهم ﷻ لتقريرهم على هذا المعنى، فذكر أنه يرزق من يشاء بغير حساب لأنه بيده ﷻ الملكوت والخزائن والرزق، ويعطي ويهب ويخلقهم ويرزقهم وكل ذلك، والآيات لِتُقررهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا بد أن يكون الله، فلماذا تتشككون في رزقه ولماذا تعبدون غيره؟ ولماذا تتكلون على سواه؟ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: 24].

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: 3]؟! هل يوجد خالق آخر سيعطيكم شيئًا؟ فأنت أيها المسكين لما يضيق عليك أمرك من سيعطيك؟!

هل ذكرتم ذلك وآمنتم بذلك ووحدتم به؟

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: 21]. كأن يمسك المطر مثلًا، والمطر يسمى رزقًا: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: 13]. فلو هو ﷻ أمسك رزقه عنكم، مَن الذي يرزقكم؟! من الذي لو أمسك السماء التي تنزل الغيث، وأمسك الأرزاق ﷻ عن الخلق، إلى مَنْ تلجأون أن يرزقكم، إلى مَنْ تذهبون؟ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: 21] .

لذلك قال ﷻ: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: 33]. فهو القائم على كل نفس بالكسب وهو الذي يعطيها، فهو القيوم ﷻ.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ﴾ [الرعد: 33]، أي: اذكروا لنا اسمهم أو اسم واحد منهم، ﴿أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾.

***

وبعد أن عرفنا رءوس المسائل المتعلقة بالرزق، وأن الله هو الرزاق، وسعة رزق الله تعالى، لا بد أن يتعلم المرء أن يأخذ حظه من هذا الاسم، فالحظ الأول من هذا الاسم هو توحيد الله ﷻ الذي ينبني عليه توكله على الله تعالى وتعلقه به وألا يطلب الرزق إلا منه وألا يحزن على تأخر الرزق وأن يعرف مكانة الرزق وأن يعرف أن طريق الرزق هو التقوى.

فهذه المسألة لا ننساها وكذلك الأولى التي بدأنا بها الدرس: أن قدرك عند الله هو قدر الله عندك. انظر قَدْرك عند الله فهو قَدْر الله عندك، وأن ترى كيف تُقَدِّر نفسك وصحتك ومالك وولدك وراحتك على الله تعالى؛ فهذا قدرك عنده ﷻ، وأن تقدم أمر الله ومحبته وتوحيده والبذل له جل وعلا والسعي إليه بكل المحاب وبكل القربات التي يمكن أن تقدمها إليه، فهذه منزلتك عند الله تعالى.

الدرس الثالث

الشرح التفصيلي لبعض الآيات الواردة في اسم الله تعالى :

الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى

تلخيص بأهم المعاني المذكورة في الدرسَيْن الماضيَيْن:

أما بعد، فقد بَيَّنا في الدرسينِ الماضيين من شرح اسم الله تعالى «الرزاق»: أن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه على المرء أَلَّا يتوجه بطلب الرزق إلا إليه ﷻ، وبَيَّنا مسألة أخرى المهمة: وهي أنه لا ينبغي أن يشغل المرء حينئذٍ ذلك الرزقُ الذي قد كتبه اللهُ تعالى له عن الآخرة والسعي لها. فيَأْمَنُ قلبُه إذن من هذا الأمر، وتطمئنُّ به نفسه، ويساعده ذلك على دوام العبادة لله تعالى والإقبال عليه، بغير خوف من الغد، وبغير خوف من قلة الرزق، وبغير خوف من ضياع الرزق، وبغير حُزن على عدم الرزق. فيثبت قلبُه حينئذٍ على طريق الإيمان، ويستقر يقينه في الله تعالى، فلا يخاف يومَه ولا غَدَه، ولا يخاف فناءَ رزقه، ولا يخاف قلة هذا الرزق، ولا يخاف شيئًا من ذلك. وستجده حينئذٍ مُقبِلًا على الله تعالى، واثِقًا في الله تعالى، لا يتردد في عبادته، ولا يَتشَوَّشُ عليه ذهنُه ولا قلبُه، ولا يَضْطَرِب فؤادُه على هذا الرزق. وفي نفس الوقت تجده كذلك، لا يأخذ رِزْقَه إلا بطاعة الله تعالى، ولا يأخذ رِزقه حينئذٍ إلا في إقباله على الله تعالى ومحبته له، لا يأخذ رزقه بالمعصية ولا بالغفلة ولا بالتقصير في أمر الله تعالى، ولا يظن أبدًا أنه إذا فرَّط في أمر الله تعالى وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيأتيه رزقُه، أو سيزيد رزقُه، أو غير ذلك من الأمور التي تُحَدِّثُه بها نفسُه ويحدثه به شيطانه: أنه إنْ فَرَّط مثلًا في سُننه سيَلْحق دنياه قبل أن تضيع منه، أو تَخفَّف من وِرْدِه حتى لا يشغله عن عمله، أو قَصَّر في صلاته، وكذا وكذا مما نسمعه... كل ذلك لَـمَّا عَلِـمَ أن الله تعالى هو الرزاق واستيقن فيه؛ عَلِمَ أن رِزْقَه واصلٌ إليه وأنه لا يُؤْخَذُ هذا الرزقُ إلا بطاعة الله، وأنه يَطلب هذا الرزق من الله تعالى، وأنه يَجهد في الطلب، ولا يجهده رزقُه ولا يُكَلِّف نفسَه، بل يعلم أن

الله تبارك وتعالى سيوصل له رزقه كما قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: 6]، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 60].

فإذا نظرتَ إلى أحوال المؤمنين المتديِّنين؛ علمتَ سببَ تأخُّر هذه الأحوال، وسبب فشلها – إن صح هذا التعبير – وكذلك علمتَ سببَ تَقَهْقُرِهم في طريقهم إلى الله تعالى، وسبب تَرَدُّدهم، وعدمَ ثباتهم ويقينهم، وعدم استقامتهم على أمر الله تعالى لاضطرابهم في هذا الأمر، وتَخَلُّخل يقينهم فيه، وعدم تَوَكُّلهم على الله تعالى التوكلَ الكافي. فإذا أراد أحدُهم أن يأتي أمرًا من أوامر الشرع، إذا به يُعَطِّلُه الخوفُ على الرزق عن ذلك الأمر، فيُحرم هذا الرزق. وهذا من الأمور التي رأينا أنها أسبابٌ من الأسباب التي تُعَطِّل المؤمنين على الالتزام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى التقدم في طريق الله تعالى. لذلك بيَّن الله تعالى في كتابه الكريم هذه القضية – قضية الرزق – أشد التَّبْيين وأوضحه؛ فذَكَّرَهم أولًا – كما أشرنا – أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وذَكَّرَهم كذلك ﷻ أن العاقبة للتقوى: ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: 32]، أليس كذلك؟ وذَكَّرَهم كذلك ﷻ وأكَّد عليهم أنه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: 6]، وأنه ﷻ يرزقهم الرزق الواسع: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: 212]، وأن عطاءه ﷻ النازل إليهم لا يوازيه شيء، ولا يساويه شيء؛ لأنه – جل وعلا – له ميراث السماوات والأرض، وله مقادير السماوات والأرض، كما سنذكر في الآيات.

* * *

وهذا الموضوع المهم الذي يُعَلِّمُنا كيف يأخذ المرءُ حظَّه من هذا الأمر بعد أن يُوَحِّد اللهَ به، بأنه الرازق ﷻ؛ فيكون توكلُه عليه، وركونُه إليه، وأنه لا يعبأ بذلك ولا يخاف منه، وأنه يضمن يقينًا أن ما كُتب له سيأتيه، وأن ما رزقه اللهُ تعالى لا يمنعه عنه كراهيةُ كارِه، ولا يسوقه إليه حِرْصُ حريص، وأنَّ رِزْقَه يَتْبَعُه كما يتبعه أجَلُه حتى يُدركه، وأنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفي أقصى رزقِها وأجلَها[1]، وأنه لن يخرج من الدنيا وله عند الله تعالى شيءٌ كَتَبهُ له ﷻ. لذلك كان المرءُ حريصًا إذن على الرزق الثاني، لَـمَّا علم أن الرزق الأول – وهو رزق الأبدان – مَسْطُورٌ ومُقَدَّرٌ، وأنه واصلٌ إليه، ولن يموت حتى يَستحق آخر لقمةٍ وآخر نَفَسٍ، فإنه حينئذٍ يسعى في تحصيل أشرف الرزقين: وهو الرزق المتعلِّق بالله تعالى ومحبته ومعرفته والإقبال عليه جل وعلا؛ وهذا هو الرزق الذي يُرزق به المرء في الآخرة، يرزق به الرزق الواسع: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة: 212]،

---

(1) عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَدَعَا النَّاسَ ، فَقَالَ :«هَلُمُّوا إِلَيَّ». فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ فَجَلَسُوا ، فَقَالَ :« هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ جِبْرِيلُ؛ نَفَثَ فِي رُوْعِي: أَنَّهُ لاَ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا؛ وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ».

أخرجه البزَّارُ في مسنده، في مسند حذيفة رضي الله عنه، وقال الألباني في صحيح الترغيب (1702) حسنٌ صحيحٌ.

﴿**وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا**﴾ [مريم: 62]. كما ذكر الله تعالى، إلى آخر الآيات التي سيأتي موعدها إن شاء الله تعالى.

***

قصة زكريا عليه السلام واليقين في الله

وفي هذا الدرس إن شاء الله تعالى نستكمل ما بدأناه، حيث ذكرنا أن الله تعالى هو المتفرِّد بالرزق، وأنه سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي خَلَقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يحيكم: ﴿**هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ**﴾ [الروم: 40]، وأنه سبحانه وتعالى ﴿**يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ**﴾ [البقرة: 212].

وآية آل عمران التي ذكرنا فيها قصة مريم – عليها السلام – لما قال لها زكريا عليه السلام حين دخل عليها ووجد عندها رزقًا: ﴿**قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: 37]، ثم قال سبحانه وتعالى بعدها مباشرة: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ**﴾ [آل عمران: 38]، يعني: هنالك في هذا الموضع الذي رأى فيه قُدرة الله وبَرَكة الله، ورأى فيه كذلك هذه المعجزات والكَرَامات من الله تعالى.. هنالك في هذا الموضع المبارَك دَعَا زكريا ربَّه، فيستحب إذن أن يدعو المرءُ في الأماكن الفاضلة التي يُرجى بها استجابة الدعاء. ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ**﴾، فلمَّا رأى مريمَ وما يأتيها من رزقٍ، وامرأتُه لا تملك شيئًا، لا نَفْعًا ولا ضرًّا، ومريمُ لا تعمل شيئًا تَكتسِبُ منه قوتَ يومِها، بل هي مُعتكِفة في محرابها لله تعالى كما ذكر: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ**﴾ [آل عمران: 37]. هنالك في هذا الموضع وأثناء هذه الأحوال التي رآها من مريم، دعا زكريا ربَّه الدعاءَ الذي لا يَستجيبه ولا يَتمكَّن منه أحدٌ.. دعاه أن يرزقه الذرية الطيبة: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ**

هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: 38]. ولا أحدَ يستطيع أن يرزق أحدًا في هذه الدنيا هذا السؤال أبدًا، إلا الله – جل وعلا.

وبعد هذا الدعاء استجاب له ﷻ: ﴿**فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ**﴾ [آل عمران: 39]. فتَساءَلَ في دهشة: كيف يكون له ولدٌ؟! رغم أنه هو الذي دعا بأن يرزقه الله الولد، لكن لَـمَّا استجاب الله ﷻ له تَعَجَّب، وقال: ﴿**رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ**﴾؟ فقال الله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ**﴾ [آل عمران: 40]. حتى يتعلم المرء هذا اليقين العالي في الله ﷻ[1].

* * *

لفتةٌ سريعةٌ إلى بعض آيات تقرير أنَّ الرازق هو الله تعالى

---

(1) للمزيد من المعاني المهمة المستنبَطة من قصة نبي الله زكرياء عليه السلام في القرآن فيرجاء مراجعة سلسلة: «يا زكريا إنا نبشرك بغلام» ؛ حيث أُفرِدتْ فيها خصيصًا خطبتان لهذه القصة لأهمية ما فيها من إحياء روح التوكل واليقين والثقة في الله، والتي كادت أن تنطفئ بالتعلق بالأسباب والركون إليها، والغفلة عن خالق الأسباب ومرتبها جل وعلا.

للاستماع لهذه السلسلة الصوتية: http://debiessy.com/general/zakarya.htm

ولقراءة تفريغ مهذب لأول خطبة منها: http://debiessy.com/books/books.htm

ثم قَرَّرَهم ﷻ بعد ذلك، حتى يُخرِج من قلوبهم أيَّ شك في الله تعالى، وأيَّ شك في رِزْقه؛ فقال لهم جل وعلا:

- ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [يونس: 31].
- ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [سبأ: 24].
- ﴿**أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [النمل: 64].
- ﴿**أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ**﴾ [الملك: 21].

فمَن الذي يُمْكِن أن يرزق العباد لو أمسك الله تعالى رزقه عنهم.. لو أمسك المطر، من الذي يُرسِله عليهم حتى يُغيثَهم؛ يغيث الأرض والعباد والبلاد.. مَنْ؟! لا يستطيع أحد. لذلك يقول بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ [الذاريات: 22]. أن الرزق هنا المقصود به المطر؛ لأن المطر به رِزقُ المرء.. به رزق الدنيا من أولها إلى آخرها. ففي دول أوربا مثلًا لو امتنع هذا المطرُ سنة أو سنتين، ستنتهي أوربا بأكملها من أولها إلى آخرها، تنتهي ما تسمى بأوربا هذه، وتُصبح صحراء قاحلة، لا زرع فيها ولا نبات ولا ماء ولا حيوان، ينتهي كل شيء عندها. ولذلك شرع الله تعالى لعباده المسلمين صلاة الاستسقاء لمن مُنع المطر منهم؛ لأن هذا المطر رزقٌ لهم ولأرضهم وزَرْعِهم، وبه حياتهم. لذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [الذاريات: 22، 23]، يُقْسِم لهم ﷻ إنه لحقٌّ مثل ما أنتم تتكلمون وتنطقون؛ حتى يُزيل تَشكُّكَ المُتشكّكينَ في أرزاقهم!

***

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

نستكمل الآيات التي نود التعليق عليها والمرتبطة بقضية الرزق:

والآية الأولى التي نشير إليها هي قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151]، والآية الثانية آية سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: 31].

فبعد أن بيَّن الله تعالى لهم الرزقَ، كان المشركون المُتشَكِّكون في الرزق يخافون أن يُرزقوا بأولاد أو ببنات أو بغيره، ويخافون ألَّا يستطيعوا أن يُنفقوا عليهم – كما هو الحال في مثل هذه الأيام: أن يقتصر على ولد أو وَلَدَيْنِ أو غيره حتى يستطيع أن ينفق عليه. لا.. الله – تبارك وتعالى – قال لهم ذلك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾، يعني: ولا تقتلوا أولادكم وأنتم فقراء.. لماذا؟ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فقَدَّم رِزْقَهم على رزق الأولاد. فالآية مُتناسِبة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. فأنتَ تقتلهم لماذا؟ لأنك فقير ولا تستطيع أن تَكْفُلَهم، فيَرُدُّ الله ﷻ لِيُطَمْئِنَكَ ويقول لك إنه يَرْزُقُكَ أنتَ أولًا وإياهم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

والآية الثانية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ يعني: لا تقتلوهم خَشْيةَ أن تَفْتَقِروا.. لماذا؟ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

فإذا كنتَ ستَقْتُلُهم لأنك فقير، قال لك: لا.. لا تَقْتُلْهم، سنرزقك أنتَ أولًا لِتكْفُلَهم وتُنْفِق عليهم. وإذا كنت ستَقْتُلُهم لأنك تخاف أن تصبح فقيرًا، قال لك: لا.. لا تَقْتُلْهم، سنرزقهم فلا تَخَفْ من أن تصبح فقيرًا.

إذن هذه الآيات؛ لِطَمْأَنةِ المؤمنين من هذه القضية.

❊❊❊

قوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾

والآية التالية، قوله تعالى: ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: 132]. وقال ﷻ قبلها: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾.

يعني: مُهِمَّتُك أن تأمُرَهم بالصلاة، وألَّا تخشى في إقامة الصلاة وإقامة الدِّين من نقص الرزق: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾. وإقامةُ الصلاة علامةٌ على بقية علامات الدِّين وأوامره: فيأمر أهلَه بالصلاة، ويأمر أهله بالزكاة، ويأمر أهله بالصوم، ويأمر أهله بكل أوامر الدين. ولكنَّ أولَ أوامر الدِّين التي ينبغي أن يأمرهم بها الصلاةُ، التي هي أهم أركان الشرع العَمَلي، وهي دليل على بقية الأركان. ولم يكن لِيَنْفَعَ أن تقول الآية: «وأْمُرْ أهلك بالصيام، لا نسألك رزقًا نحن نرزقك». لا، وإنما «وأْمُرْهُم بالصلاة»؛ لأن الصلاة هي الأهم، كأنه يقول: وأمر أهلك بالصلاة والصيام وكل أوامر الشرع، ولا تخشَ شيئًا، ولن ينقص رزقك بذلك، بل على العكس: لا نسألك الرزق وأنت تأمرهم، كما قال: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾. ولذا ينبغي إذا قَلَّ رزق المرء أن يقول: «الصلاة الصلاة»، كما رُوِيَ في حديث النبي ﷺ[1]، وكما ورد عن عروة ابن الزبير – رحمه الله

[1] قال ابن ثير رحمه الله تعالى: «قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطَوَاني، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، عن ثابت قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصةٌ نادَى أهلَه: **" يا أهلاه، صلُّوا، صلوا "**. قال ثابتٌ: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة». انتهى من تفسير ابن كثير، تفسير الآية رقم 132 من سورة طه. و"ثابت" راوي الحديث هذا هو ثابت البناني رحمه الله تعالى من التابعين، لذلك قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (1/ 169): الظاهر أنه مرسل جيد الإسناد.

تعالى – كما كان يحكي عنه ابنه هشام بن عروة يقول: «كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله»[1]، لأن الصلاة هي مفتاح الرزق، وهي التي بها يُحصِّل المرءُ رزقَه إذا ضاق عليه، وإذا قُدر عليه رزقه، فعليه أن يقوم لله تعالى بالصلاة، وأن يَعلم أن رِزْقَه مَضْمونٌ.

وكذلك يأمر أهله ببقية أوامر الشرع، ولا يخشى شيئًا، ويعلم يقينًا أن الله تعالى يرزقه، ولا يخاف من عدم الرزق أو من قِلَّتِه، بل كما ذكر الله تعالى: ﴿**لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾.

***

قوله تعالى: ﴿**فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾

والآيةُ التالية في قول إبراهيم ﷺ وهي آية مهمة من الآيات التي تُقَوِّي الدعوة لتوحيد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿**فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: 17]. والآية من أولها: ﴿**وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ**

(1) انظر تفسير الطبري، تفسير الآية رقم 132 من سورة طه.

تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 16، 17]. فهؤلاء الذين تَعبدون من دون الله أو تَدْعُون من دون الله، لا يملكون لكم رزقًا. وجاءت ﴿**رِزۡقٗا**﴾ هنا نكرة، والأُصولِيُّون يقولون بأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، وسياق النفي بالآية: ﴿**لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا**﴾، وجاءت ﴿**رِزۡقٗا**﴾ نكرة، فتفيد العموم، يعني: ما تعبدون من دون الله لا يملكون لكم **أيَّ رزق**، لا يملكون لكم شيئًا.

ثم قال تعالى: ﴿**فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ**﴾، **وكأنَّ الرزق مرتبطٌ بالعبادة من ناحيتين:**

الناحية الأولى: أن الرزق مُرتبِط بالعبادة: فالذي يَرزق هو الذي يَستحِقُّ العبادة، وهذه الأصنام التي لا تَرْزُق، أنَّى تكون آهةً حتى تُعبد؟! فهنا الذي يَرزقكم هو المُستحِقُّ للعبادة؛ لأنه هو الذي خَلَقهم. فخَلَقهم ورَزَقهم فاستَحَقَّ العبادة جل وعلا، والذي لا يَخلق ولا يَرزق هل يستطيع أن يَرزق غيرَه أو أن يَخلق غيرَه؟! حينئذٍ فلا يَستحقُّ أن يُعبد. فهذا قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ**﴾. فإذا كان الله تعالى هو الذي يَرْزُقكم؛ فهو المُتفرِّد إذًا: بالعبادة، والتوكُّل، واليقين، والرضا، والرجاء، والخوف، والإنابة، والمحبة... وكل ما ينبغي أن يكون لله تعالى في قلوب المؤمنين، حتى تَمْتلِئَ هذه القلوبُ بمحبة الله تعالى، وتوحيدِه، والتَّعلُّقِ به، وتَمتلئ نورًا في الأولى والآخرة، كما دعا النبي ﷺ.

الناحية الثانية: أن العبادة مرتبطة بالرزق: فإذا ضاق رزق المرء، فإن ما عند الله لا يُنال بمعصيته، وإنما يُنال بطاعته ﷻ، والعبدُ يُحرَم الرزقَ بذَنْبٍ يُصيبُه، يعني كأنه يقول: إذا أراد العبد رِزْقَه في الأولى والآخرة، إذا أراد رزقَه في الظاهر والباطن، إذا أراد الرزقَ الشريف ورزق الأبدان؛ فإن ذلك كله مُتعلِّقٌ بعبادة الله تعالى.

وحينئذٍ يجد ذلك عند الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ ويكون نتيجة ذلك، أن تَشكر الله تعالى على ما أمَدَّكَ به من هذه النِّعم التي لا تُحِسُّ بها: كنعمة السمع، والبصر، والفؤاد، ونعمة المشي، والكلام، ثم بعد ذلك نعمة الإيمان، ونعمة الصلاة، ونعمة الإقبال عليه ﷻ، والذِّكْر، ومعرفة الله – جل وعلا – إلى آخرِ النِّعم التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]. فهذه الآية إذًا مُرتبِطة بما ذكرنا من الآيات.

* * *

قوله تعالى: : ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

والآية التالية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

وقد بيَّن الله تعالى لعباده هذا المعنى في هذه الآية الكريمة، وهو أنهم إذا خُيِّروا بين ما عند الله تعالى، وبين التجارة واللهو والدنيا، أن يعلموا أن ما عند الله خيرٌ وأبقى؛ هذه مسألة مهمة! ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11]. ويُذكَر في تفسير هذه الآية أن النبي ﷺ كان يخطب الجمعة، ثم جاءت عِيرٌ من الشام تحمل

المئونة لأهل المدينة، يعني تحمل الميرة[1]، تحمل الطعام والشراب لهم. فخرجوا لملاقاة هذا العِير يَلْتَمِسون هذا الرزق، وتركوا النبيَّ صلوات الله وسلامه عليه قائمًا يَخْطُب، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

حتى يستكمل الناسُ يَقِينَهم في الله تعالى، وحتى يَتعلم المؤمنون كذلك هذا الدرس؛ وهو أنه إذا خُيِّر المرء بين رزق الدنيا وما عند الله تعالى: كدرس عِلْم نافِع مثلًا، فلا بد أن يُقَدِّم ما عند الله تعالى؛ لأن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة. وإذا تعارض عندكَ رزق الله تعالى من رزق الآخرة وأعمالها، مع شُغُل الدنيا، فلا بد أن تُقدِّم ما عند الله تعالى؛ لأن ما عند الله خير وأبقى. فلن يصل المرء إلى هذا اليقين في الله تعالى، وتحقيق هذا المعنى من معاني التوكل على الله تعالى، والثبات في هذه القضية – قضية الرزق – إلا أن يكون كذلك. لذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: 72].

لذلك كانت هذه المسألة من المسائل المهمة التي يحفظها المرء: أنه عندما يتعارض عندكَ أَمْرٌ من أمور الآخرة وأمر من أمور الدنيا المتعلِّقة بالرزق.. المتعلقة بالمال.. المتعلقة بالعَمَل.. المتعلقة بالتجارة... إلا قَدَّمْتَ الآخرة على الدنيا. وقد أشارت الآية: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وذكرتِ الآيةُ التجارةَ؛ لأنها كانت معظم أعمال العرب حينئذٍ؛ لذلك ذكرها الله – تبارك وتعالى – تنبيهًا على شأنها،

(1) المِيرة: الطعام الذي يُجمع للسفر ونحوه. انظر «المعجم الوسيط» مادة: [م ي ر].

وتنبيهًا على بقية أعمال المرء غير التجارة من الصناعة والزراعة وبقية الأشغال التي يقوم بها الناس، فكلُّ ذلك لا يُوضَع في ميزان الله تعالى مع ما عنده من رزق الآخرة إلا ويَرْجَحُ ما عند الله تعالى. وأنتَ إنْ رَجَّحْتَ ما عندكَ، ورَجَّحْتَ الزائل الفاني على الباقي لك عند الله – تبارك وتعالى – فانظر إلى الحال التي أشرنا إليها في بداية الدروس الماضية: وهي أنك إذا أردتَ أن تَعرِف مَنْزِلَتكَ عند الله تعالى، فهي أن تَنظر إلى منزلة الله تعالى عندك؛ فإنَّ مَنْزِلَتكَ عند الله تعالى كمنزلة الله عندك. إنْ قدمتَ أمرَ الله تعالى على كل شيء في كل أمورِكَ، فإنَّ الله تعالى يُقدِّمكَ على غيرك في كل شيء: في الرزق، والعلم، والفَهم، والثواب، والحفظ، والكَلَأة، والمَنْعة، وفَتْحِه عليك ﷻ بأنواع الفُتوح في الأولى والآخرة، ومن كان كذلك فالله تعالى معه كذلك ولا يظلمه شيئًا ﷻ، وإلا تَفْعَل فالعكسُ: يُؤخِّرُك الله تعالى كما أخرتَ أمرَه وقدمتَ الدنيا على الآخرة.

***

علمتَ إذًا أنَّ الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، وأنَّ رزقه ﷻ واسع، وأنه ﷻ هو الرزاق ذو القوة المتين... إذا علمتَ ذلك آمَنْتَ واستيقن قلبُك، وصرتَ إلى هذا الحال الحسن. أم لا زلتَ مُتشكِّكًا خائِفًا مُرْتابًا في رزق الله تعالى لك، وأنك لا تزال على هذا الحال السيئ في يقينك في الله تعالى وفي رزقه المقسوم لك؛ فعَطَّلَكَ ذلك عن العبادات والمعاملات الحسنة مع الله تعالى، وعَطَّلَكَ ذلك عن الذِّكْرِ، وأَوْقَعَكَ ذلك في الغفلة والحُزن، والخوف على الغَدِ، والخوف على الأولاد، والخوف من نقص المال... وغير ذلك مما يتأتى لضِعاف الإيمان وضِعاف اليقين في الله تعالى.

شرح بعض الآيات المتعلقة ببسْطِ الرزق وقبْضِه

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الرعد: 26]. ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [سبأ: 36]. ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ﴾ [القصص: 82]. ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 62]. ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الشورى: 12].

بعد أن علمتَ أن الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، وأن رزقه ليس له نفاد، وأنه على المؤمن أن يُوَحِّد الله تعالى بذلك ويدعوه: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: 114]، ولا يدعو غيرَه، فعليك إذًا أن تتوكل عليه لا على غيره ﷻ، وتعلم أنه لن تُقبض نفسٌ حتى تستوفي أقصى رزقها وأجلها.

ونأتي الآن إلى شرح هذه الآيات التي تبين ذلك:

الآية الأولى؛ آية سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرعد: 26].

الآية الثانية؛ آية سورة القصص: ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ﴾ [القصص: 82].

الآية الثالثة؛ آية سورة العنكبوت: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت: 62].

ونلاحظ الفارق في سياق الآيات الثلاثة؛ في الأولى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ فقط، وفي الثانية: ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾، وفي الثالثة: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾.

ونبدأ في **شرح الآية الأولى** حيث قال الله تعالى قبلها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 25]. من هؤلاء؟ الكفرة، ثم جاء قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الرعد: 26]. فقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ دلَّ على أنهم مَغْضوبٌ عليهم، ويأتي السؤال: كيف يبسط اللهُ تعالى الرزقَ لهم في الدنيا؟! وقد ازدادوا به طغينًا وكفرًا؟! وهلَّا عَذَّبَهم في الدنيا بالخَصاصة[1]، كما قَدَّر تعذيبَهم في الآخرة ﷻ، وذلك مثل قول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: 88].

والجواب: أن الله تعالى يبسط الرزق لهم ويَقْدِر؛ لحكمةٍ مُتَّصِلة بأسباب العيش في الدنيا، ولذلك اتصاله بحال الكرامة عنده في الآخرة؛ ولذلك جاء التعميم في قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾. ومشيئته وأسبابه لا يتطلع عليها أحد. ومعنى الكلام: أن الله تبارك وتعالى ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في هذه الحياة الدنيا؛ حتى تَستقيم هذه الحياةُ، ﴿وَيَقۡدِرُ﴾؛ حتى تستقيم أسباب المعيشة فيها. لماذا؟ لأنه قال في آية أخرى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: 27]. فملخص الآية إذن: أن الله تعالى ذَكَر أن الكافرين لهم اللعنة

(1) الخَصاصَةُ والخَصاصُ: الفقرُ. انظر: «الصحاح» للجوهري، مادة: «خ ص ص».

ولهم سوء الدار، وأنهم مغضوب عليهم؛ فهَتَف الهاجس في نفوس المؤمنين: إذن لماذا قد وَسَّع الله عليهم الرزقَ في الدنيا، وازدادوا به طغيانًا وكفرًا، وعلوًّا وفسادًا، كما قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً﴾؟! والكافرون يَسْخَرون من هذه الآيات وما فيها من وَعيدٍ لهم، ولا يُهمهم شيء، وكلُّ ما يُهمهم هو الحياة الدنيا وما أُوتوا فيها من أسباب الرزق والمَنْعة والقوة والرِّفعة... إلى غير ذلك، لذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

فخلاصة معنى الآية إذن: أن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛ لاستمرار أسباب المعيشة في الدنيا، حتى تَستمر هذه الحياة، وحتى تتهيأ أسبابُها. ومن ناحية ثانية حتى يكون لهذا المعنى – معنى البسط والتقتير – انفصالٌ بنعيم الآخرة؛ فيبسط الرزقَ لبعض عباده المؤمنين فيكون سببًا لحَجِّهم وجهادهم ونفقتهم، ولا يُكثر على بعضٍ منهم الرزقَ حتى لا يكون سببًا في فساد أحوالهم أو في نسيان الآخرة بسبب أموالهم وبسبب غِناهم، فتستقيم كذلك آخرتُهم، كأن هذا الحال في الانفصال باستقامة آخرتهم كذلك. وهذه أحكامٌ ومعانٍ إنما تَختص بالله تعالى، يعني هذه الأمور نحن نَتفكَّرُ فيها لِنَصِلَ فيها إلى هذا المعنى. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، يعني الله يبسط الرزق لمن يشاء، فلا تقل لماذا رَزَقَ الكَفرة، وكثَّر لهم؟! ولا لماذا قَتَّر على المؤمنين، وقَلَّل لهم؟! ولا لماذا بَسَطَ لبعض المؤمنين ورَفَعَهم، وقتَّر على بعض المؤمنين؟! لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. ومَشِيئتُه مرتبطةٌ بعلمه المرتبط بحكمته التي تُسَيِّر خَلْقَه، ولو لم تكن هذه الحكمة موجودة؛ لاخْتَلَّ هذا النظام في الأولى.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾، في الآية تقديم وتأخير، حيث قَدَّم لفظ الجلالة وهو المُسنَد إليه، على الفعل الذي هو الخبر وهو ﴿يَبْسُطُ﴾؛ وذلك تقويةً لهذا الخبر وتأكيدًا له. يعني: لا يَبسط ذلك إلا هو ﷻ. حتى تَفهم أن ذلك لحكمة، وأنه لا يَبْسُط هذا الرزق ولا يُقَتِّره أحدٌ، وإنما هو الله جل وعلا، فليس ذلك البسط والتقتير بيد أحد، ولا بترتيب أحد، ولا بمشيئة أحد، ولا بعِلْمِ أحد، ولا بحكمة أحد، ولا بقوة أحد، غير الله ﷻ؛ حتى يطمئن المؤمنون إلى هذه المعاني.

وجيء في جانب الكافرين بضمير الغَيْبة، وذلك عندما قال ﷻ: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وكأن السياق: وفرح الكافرون بالحياة الدنيا. لكنه ﷻ أَهْمَلَهُمْ ولم يَذْكُرْهم تحقيرًا لهم وللدنيا التي يفرحون بها، فهُم أقل من أن يفهموا هذه الدقائق عن الله، فضلًا عن أنهم لا يفهمون عن الله شيئًا؛ قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]. والفرحُ في الدنيا فقط لا يكون سببًا لغضب الله تعالى، فالمؤمن يفرح برزقه، لكن قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ليس معناها فَرِحوا فقط، وإنما تدل الآية على أنهم فرحوا بالحياة الدنيا وتركوا الآخرة، لذلك أَهْمَلَهُمْ ﷻ فلم يَذْكُرْهم ﷻ ولم يُظْهِر اسمَهم في هذه الآية؛ لإهمالهم وعدم فَهْمِهم حكمةَ الله تعالى في ذلك، ولأنهم فرحوا بالحياة الدنيا، ولم ينظروا إلى الآخرة، ولم يعبئوا بها، فكان جزاؤهم الإهمال في هذه الآية.

﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾. ففرحوا بالحياة الدنيا، ولم يهتموا بالآخرة، وما الحياة الدنيا التي فرحوا بها في الآخرة التي تركوها إلا مَتاع، يعني: شيءٌ قليلٌ استُمتعوا به ثُمَّ يَزولُ.

إذن نستخلص من هنا هذا المعنى، وهو: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ لحكمةٍ، وأن الأهم أن ينظر المرء في الآخرة، وأن يَسْتَعِدَّ لها، وأن الله تعالى ما قَتَّر عليه رِزْقَه إلا لمصلحته، وما وَسَّع على آخرين من المؤمنين إلا لمصلحتهم، وما فعل ذلك بالكافرين إلا لِيَمُدَّ لهم في آجالهم، وأرزاقهم؛ حتى لا يكون لهم عند الله تعالى في الآخرة شيءٌ، وحتى يكون ذلك سببَ مَحْقِهم ودمارهم في الأولى، وعذابهم في الآخرة.

والمعنى الثاني الذي يتعلمه المؤمن قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]. يعني: إنْ قُتِّر عليك في رزقك، أو بُسط لك فيه، فكل ذلك ليس مِقدارًا للإهانة ولا الكرامة، وإنما النظر لما يكون في الآخرة؛ لذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ﴾ [الفجر: 15-17]. فليس زيادة الرزق ونقصه دليل الكرامة، وليس قلة الرزق وتقتيره دليل الإهانة؛ لا هذا دليل ولا ذلك دليل. وإنما يستدل على الكرامة والإهانة من موارد الشرع: من الطاعة، والإقبال على الله تعالى، ومحبته، والقيام بفرائضه، والاستعداد لِلِقائِه؛ فالعِزُّ في طاعته ﷻ، والذُّل في معصيته. يعني أن الإهانة في معصيته وليست في قلة المال وغيره، وإنما المال كما ذَكر الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الرعد: 26].

***

ونأتي الآن إلى مقارنةٍ بين ألفاظ الآيات التي ذَكَرْناها:

الآية الأولى؛ آية سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الرعد: 26]، يبسط لمن يشاء ويقدر فقط.

الآية الثانية؛ آية سورة القصص: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: 82]، يبسط لمن يشاء من عباده ويقدر.

الآية الثالثة؛ آية سورة العنكبوت: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 62]، يبسط لمن يشاء من عباده ويقدر له.

وللسائل أن يقول: إن هذه الآيات قد انْطَوَتْ مطابَقةً على معنًى واحد؛ وهو إخباره ﷻ بأنه المُنفرِد بالقبض والبسط، كما انفرد بالخلق والأمر. فإذا اجتمع هذا المعنى – وهو انفراده ﷻ بالقبض والبسط – فلماذا قال ﷻ في آية الرعد: ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، وفي آية القصص: ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾، وفي آية العنكبوت: ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾؟

والجواب – والله أعلم – أن آية العنكبوت: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 62]، تَقدَّم قبلها:

1- آيةٌ فيها خِطاب للمشركين لَـمَّا ذَكَر الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17]، فالخطاب هنا للمشركين.

2- وتقدم قبلها أيضًا آيةٌ فيها خِطابٌ لكل الناس، وهي: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: 60].

وقد بَيَّنَتا هاتان الآيتان أن الله تعالى كما انفرد بخَلْقهم، فهو المُسبِّب للرزق، فعليهم إذن أن يَبتغوا عند الله وحدَه الرزقَ؛ لأن الله تعالى يَرزق كلَّ دابة، والذين يَعبدونهم المشركون من دون الله لا يَملكون لهم هذا الرزق.

فلمَّا قال الله تعالى هاتين الآيتين ناسَبَ حينئذٍ أن يقول بعدهما: ﴿**ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ**﴾؛ لأن هذه الآية الخطابُ فيها للمؤمنين فقط، فإنه ﷻ لما قال في الأولى: ﴿**فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ**﴾ كان الخطاب للمشركين، ولما قال في الثانية: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ**﴾ كان الخطاب للناس كافة، فيحتمل بعد ذلك أن يأتي المؤمنون ويَحسُّون أن هناك تَقْتير وبسط، فقال لهم الله ﷻ حينئذٍ لِيُؤْنِسَهم: ﴿**ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾؛ لأن في البسط والقبض في رزقه ﷻ إيناسٌ لهم، وتشريفٌ لهم؛ فخاطبهم بخطاب التشريف: ﴿**مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ**﴾؛ ليستأنسوا بما يجري لهم: إن جرى لهم قَبضٌ؛ اسْتَأْنَسوا بأنه من الله وأن ذلك تشريفٌ لهم، وإنْ جرى لهم بَسْطٌ؛ عَلِموا أن ذلك من الله تعالى، وأن ذلك تشريفٌ لهم أيضًا؛ فيشكروا الله تعالى على الحالَيْنِ، ولا يخرجوا عن ذِكْرِه وعبادته ﷻ كما كان الأوَّلون يقول لهم: ﴿**فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: 17].

فخَصَّ بعد أن عَمَّ بقوله: ﴿**ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ**﴾، وقال لهم ﷻ ذلك حتى يعلموا أنهم – في القبض والبسط – مربوطون بالله تعالى، وأن عليهم أن يشكروه تعالى في هذا الحال ويعبدوه، ويشكروه في تلك الحال الأخرى ويعبدوه كذلك، ولا يَنفكُّون عن حالٍ يعبدون الله تعالى فيها.

***

وأما آية الرعد: ﴿**ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**﴾ [الرعد: 26].

فقد أتى قبلها آية: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ**﴾ [الرعد: 25]، وقلنا أن المقصود هنا هُم الكفرة، ثم قال الله تعالى بعدها: ﴿**ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**﴾ فلم يقل فيها ﷻ: «عباده»، ولا قال: «يقدر له»؛ وذلك لأنه لم يَقصد تخصيصَ أحد، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**﴾، وهي صفة الكافرين لا المؤمنين؛ لأنه ليس الفرح بالدنيا ونسيان الآخرة من شأن المؤمن؛ فإن الدنيا سجن المؤمن[1]، وفرحه إنما يكون بربه ﷻ وما يرجوه منه في آخرته: ﴿**قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ**﴾ [يونس: 58].

***

وأما آية القصص: ﴿**وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ**﴾ [القصص: 82].

فنلاحظ أنه ﷻ في هذه الآية قال: ﴿**يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ**﴾ ولم يقل: «وَيَقْدِرُ لَهُ».. لماذا؟ لأن «وَيَقْدِر لَهُ» إذ ذُكِرَتْ فستكون عائدة على قارون، وقارونُ لم يُضَيِّق اللهُ عليه، بل وَسَّع عليه كما قال: ﴿**وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ**﴾ [القصص: 76]. لذلك لم تَجِئْ «لَهُ» بعد «وَيَقْدِر»؛ لأنه ﷻ لم يُضَيِّق عليه أصلًا وإنما وَسَّعَ عليه.

***

[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**». أخرجه الإمامُ مسلمٌ في صحيحه (2956)، وغيرُه.

آية عامة في رِزْقِ الله عزَّ وجلَّ: قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾

وبعد أن ذكرنا الفرق بين ما ذَكَر الله تعالى في تلك الآيات الثلاثة، نذكر آية عامة على رِزْقِ الله تعالى، وهي آية الشورى، حيث قال الله تعالى فيها: ﴿**لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ**﴾ [الشورى: 12].

ويكون أوَّلُ هذه الآية أَبْيَنَ شيء في تعليم المؤمن والكافر، وهو قوله ﷻ: ﴿**لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾. و«مَقَالِيدُ» يعني: مفاتيح، و«مفاتيح» كناية عن أن له ﷻ خزائن، كما ذكر في قصة قارون: ﴿**إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ**﴾ [القصص: 76]. يعني مفاتيح الخزائن هذه لا يستطيع أن يَحملها الجماعة من الناس أصحاب القوة، فما بالك بخزائن الله تعالى: ﴿**لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ**﴾. فلم يَخُصَّ مؤمنًا ولا كافرًا بهذا الرزق؛ لأن مقاليد السماوات والأرض بيده، وهو يرزق هنا وهنا، ويرزق الكافر والمؤمن. فلا يسأل أحدٌ مِن أين يُرزق المؤمن والكافر؟ لأن الرزق ليس إلا مِن عنده هو ﷻ. فلم تقصد الآية تخصيص المؤمنين ولا تشريفهم، بل دلت على عموم ذلك من الله تعالى، وهذا معناه اللجوء إلى الله تعالى حتى ولو كان كذلك.

***

<u>فيستفيد المرء إذن من هذه الآيات هذه المعاني: أن مقاليد السماوات والأرض بيد الله ﷻ، وأنه يَبسط رزقه لمن يشاء ويقدر، وأن بَسْطَه وتقتيره يكون لحكمة، وأنه ما قَتَّر على المؤمنين ووَسَّع عليهم إلا لِيَذْكُروه ويشكروه في الحالين ﷻ ويُعَظِّموه - جل وعلا - وكذلك إنما لِيَلْتَجِأ إليه هذا المُقَتَّر عليه في كل أحواله ويعلم أن ذلك كله لحكمة، وأن</u>

ذلك كله لم يكن عبثًا من الله – تبارك وتعالى – وأنه لو بَسط لهم الرزق؛ لبَغَوْا في الأرض. فيطمئن إذن قلب المؤمن؛ لأنه يعلم أن رزقه ما قُتِّر عليه إلا لحكمة، فيَسْتَرِيح ذهنه وعقله، ويسعى في الدنيا كما أمره الله – تبارك وتعالى – سَعْيًا لا يُعَطِّل عليه الآخرة، فإنْ رَزَقه اللهُ ووَسَّع عليه فلا يَفْرَح فَرَحَ المُتْرَفينَ الذين فَرِحوا بالحياة الدنيا؛ لأنه عَلِمَ قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185] . فاستَقَرَّ قلبُه وذهنُه حينئذٍ، وسار في هذه الحياة إنما يريد الآخرة، ولم يحزن على أنه قد قُتِّر عليه، بل يحزن لو فُتِحَ عليه؛ خوفًا من أن يكون الغِنى سببًا لطُغيانه، أو سببًا لغفلته، أو سببًا لبُعْدِه عن الله تعالى، وذلك قول النبي ﷺ: « **فَوَالله مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ . وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** »[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 27].

***

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾

ونتوقف عند شرح هذه الآية الجليلة: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 27]، حيث إنها معطوفة على قوله ﷻ: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [الشورى: 26].

فجاءت هذه الآية في موقع الاحتراز، فلو لم تأت هذه الآية في هذا الموقع لقال المؤمنون: إذا كان الله يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، فلِمَ

(1) أخرجه الإمامانِ البخاريُّ (6425) ومسلمٌ (2961) في صحيحهما.

يدعو المرء أحيانًا ربه ﷻ بزيادة الرزق فلا يجد بَسْطَ الله عليه؟ أين هذه الاستجابة وأين ذلك الفضل الذي ذكرتِ الآية؟ خاصة وأن المؤمنين كانوا في بداية الإسلام في شدة وضيق وحاجة، وكان الكافرون متشددين في معاملتهم، فمَنَعُوهم من أرزاقهم، فكانوا إذن في أعظم الشدة والضيق كما ذكرنا في سيرة النبي ﷺ. فأين ذلك البسط وأين تلك الاستجابة وأين ذلك الفضل من الله تعالى؟

فجاءت هذه الآية للاحتراز (يعني باللغة الدارجة: للفَرْملة) حتى ينتبه المؤمنون إلى مراد الله تعالى، وحتى يجدوا جوابًا لهذا الهاجس الذي يتحدث في نفوسهم؛ وهو أنه كيف يتواءم ما ذَكَر الله تعالى من استجابته للمؤمنين والتوسيع عليهم وزيادته من فضله لهم مع حال المؤمنين؟ فجاءت هذه الآية بسرعة: ﴿**وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُ**﴾ [الشورى: 27]، وكأنها تُشير إلى جوابِ سؤالٍ مُقَدَّر في نفس السامع؛ إذ إنه لَـمَّا سَمِعَ أن الله تعالى يستجيب للذين آمنوا ويزيدهم من فضله، تساءل في نفسه: إنَّ مما يَسأل المؤمنون ربَّهم ﷻ سعةَ الرزق وبَسْطَه، فأين ذلك الرزق وقد كان المؤمنون في صدر الإسلام في حاجة وضيق وشدة، ومَنَعَهُم المشركون أموالَهم وتجارتهم وبيعهم وشرائهم ... إلى غير ذلك؟! فيجاب بهذه الآية التي جاءت احترازًا لهذا الهاجس: بأن الله لو بَسَطَ الرزقَ لعباده لكان ذلك الرزق مُفْسِدًا لهم، هو يعلم منهم ذلك ﷻ؛ لأن الإنسان من طبعه – إلا من رَحِمَ ربي – لَـمَّا يأتي له الرزق يستغني به وينسى آخرته، كما قال ﷻ: ﴿**كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ**﴾ [العلق: 6، 7]، فيترك الالتجاء إلى الله تعالى، ويحمله ذلك على الاعتداء على الناس والبغي في الأرض والظلم والعدوان، فضلًا عن التَّكَبر على غيره والتعالي عليه، وغير ذلك من الأخلاق الرديئة.

فإن كان معه مال وقوة وعدد، فببساطة يستطيع أن ينشر هذه القوة وهذا النفوذ على غيره، وأن يَحوز مال غيره إلى نفسه، وأرضَ غيره إلى نفسه..إلخ. ومِن ثَمَّ يَسُود الفساد، ويَنْحَل النظام، وتَسُود الفوضى في دنيا الناس؛ لأنه لو أفسد هذا الغنيُّ في الأرض بماله وقوته، فلا بد أن يكون هناك غيره يُقاوِمه ويريد أن يبسط قوته وجبروته عليه، فيختل النظام حينئذٍ.

ولكي يفهم المرء هذا الكلام لا بد أن يسأل نفسه هذا السؤال: هل لو قَتَّر الله تعالى الرزق على عباده لَبَغَوْا في الأرض؟ الإجابة: لا؛ لأنهم لو بقوا كلهم فقراء، لا يأتي البَغْيُ والاختلاف، إلا في الحال النادر، كأن يكون فقيرًا لا يجد حتى طعامه فيلجأ إلى البغي على غيره كي يتحصل على قوته، وهذا النادر لا يختل به عموم النظام، فلو كانوا كلهم في الفقر سواء لقَنَعوا بهذا العيش وتَعَوَّدا عليه، إنما ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ﴾ فلا بد من البغي والعدوان، وهذه طبيعة الناس.

لذلك ذَكَّرَ الله تعالى المؤمنين بأنه من الخير لهم في الآجل ألَّا يَبْسط الرزقَ لهم، وكان ذلك مَنُوطًا مُتَعَلِّقًا بحكمةٍ أرادها لهم المولى ﷻ في تدبير هذا العالم. وأيضًا كان للمؤمن في ذلك فائدة أخرى، وهي ألا يشغله غِناه هذا عن العمل الذي يفوز به في الآخرة؛ لأنه يَتشتَّتْ قلبُه – إلا من رَحِمَ ربي – بين جَمْعِ المال في الدنيا وتزويده وحفظه، فضلًا عن البغي في الأرض الذي ذكرته الآية، يتشتت قلبه بين ذلك كله وبين الواجب عليه في هذه الدنيا: وهو أمر الآخرة الذي ما خَلَقَنا اللهُ تعالى إلا من أجله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56-58]. فهل سينشغل بحفظ هذا المال من القلة والضياع والتفكير في تنميته، أو سينشغل بالآخرة؟ هل ستَصْفى صلاتُه من التفكير في الدنيا حينئذٍ؟ هل

سيخشع في ذِكْرِه وتلاوته، أم يعقد ذلك بلسانه فقط ويظل قلبه مشغولًا بهذا المال الذي ابتلاه الله به؟ وهذا الاعتبار الذي أشار إليه النبي ﷺ حين تَعَرَّض له الأنصار بعد صلاة الصبح، وقد جاءه مالُ جزيةٍ من البحرين، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟**» ثُم قال: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ . وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(1).

وهذا الأمر الأول في هذه الآية.

والأمر الثاني فيها الذي نريد أن نوضحه، هو أن الله تعالى قد أسس نظامه في هذا الكون على قوانين عامة تشمل المؤمنين والكافرين، يعني حينما يقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ**﴾، فهذا يشمل عموم عباده، ولا يجوز أن يأتي المؤمنون ويريدون– لكونهم مؤمنين– أن يخصص الله لهم هذا القانون العام الذي وضعه ﷻ لعباده كافة. يعني لا يظن هذا المؤمن بسبب كونه مؤمنًا ويحافظ مثلًا على الجماعة في المسجد أو يحفظ القرآن ويتعلم العلم الشرعي ... لا يظن أنه بسبب هذه الأعمال أن الله تعالى سيخصصه من دون غيره بالبسط في الرزق! لا، وإنما قد وردت هذه الآية موردًا كليًّا، فإذا قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ**﴾، فليس من حكمته ﷻ أن يخص أولياءه وحزبه بنظام تكويني معين، وإنما يخصهم بمعاني

(1) أخرجه الإمامانِ البخاريُّ (6425) ومسلمٌ (2961) في صحيحهما.

الفضل والرضا والفوز في الآخرة. فالنظام الدنيوي إذن نظام عام قد جعله الله لحكمة حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، وحتى تستقيم أمور الدنيا، وحتى يكون للمؤمنين الانتصار في الآخرة. فلا يأتي المؤمنون ويقولون: لماذا خَصَّ الله الكافرين بالبسط في الرزق، لماذا لا يعطي المؤمنين حتى يكونوا أكثر عددًا وعدة ومالًا؟! يَرُدُّ الله عليهم بهذه الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 27].

فليطمئن إذن كل أحد أن طريق الدنيا ليس بِطَرِيقٍ له، وإنما الطريقُ هو طريق الآخرة، وما عليه إلا أن يسعى السعي المطلوب المأمور به في هذه الدنيا.

الدرس الرابع

تابع الشرح التفصيلي لبعض الآيات الواردة في اسم اللّٰه تعالى :

الرزَّاق؛ سبحانه وتعالى

تمهيدٌ:

وقد وقفنا في الدرس الماضي على ما يتعلق بقضية الرزق في اسمه المشرف الرزاق ﷻ، وينبغي أن يكون الناس قد استوعبوا هذا الدرس، وهو أن يعلموا من قضية الرزق أنه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6] كما ذكر الله تبارك وتعالى، وكذلك: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: 60]، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]... إلى آخر الآيات. ثم ذكرنا آياتٍ أُخر، بينت معاني جديدة: وهي أنه إذا كان الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، فكيف لا يستجيب للمؤمنين فيُوسِّع عليهم أرزاقهم ويفتح عليهم ﷻ، وقلنا إن الآيات جاءت لتستدرك هذه المعاني، ولتبين كذلك عدة أمور لا بد من تبينها وهي: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الروم: 37]؛ هذه الأولى، والثانية: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: 27]. وبَيَّن كذلك ﷻ كيف أنه ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 27]؛ وذلك لإصلاح الناس، ولعدم فسادهم وتَرْك البغي. وتكلمنا كذلك عن معانٍ كثيرة، منها أن الله تبارك وتعالى قد جعل قوانين عامة في كونه، وأنه لا يخص المؤمنين بقوانين من دون الناس، ويوسع عليهم ويضيق على الكفرة وكذا وكذا، وإنما هي قوانين عامة قد وضعها الله تبارك وتعالى، فيوسع على المؤمنين فيما يقربهم إليه ﷻ وفيما يكون فيه رضاه عنه في الأولى والآخرة جل وعلا، وقد يوسع عليهم شيئًا؛ ليقيموا به الحق في هذه الحياة الدنيا.

فإذا علم المرء أن رزقه مقسوم، وأنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفي أقصى رزقها وأجلها، علمنا كيف يوحد المرء ربه بهذا المعنى بأنه الرزاق ﷻ، فلا يطلب الرزق إلا منه جل وعلا، وإن أصابه شيءٌ التجأ إليه وتعلق به، وسارع إلى دعائه، والتضرع له ﷻ؛ هذه واحدة. والثانية: كيف يتعلم المرء الثقة في الله تعالى، فلا يتردد بسبب الرزق، وبسبب الغد، وبسبب المستقبل، ولا يتشكك، ولا يخاف، ولا يكون ذلك مؤثرًا في عباداته ومعاملاته مع الله تبارك وتعالى، لا يسبب له اضطرابًا ولا قلقًا، وأن ما كُتب له سيأتيه، وأنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفي أقصى رزقها وأجلها، وأنه ما كتب له كان، وأن رزقه يتبعه كما يتبعه أجله حتى يدركه، فيجعل ذلك الناس لا يتسارعون على الدنيا ولا يتعاركون عليها بهذه الحال التي هم فيها، بل يجعلون من العمل للآخرة سببًا لتوسعة الرزق في الدنيا؛ فإن ما عند الله لا يؤخذ بمعصية الله.. لا يؤخذ لا بالغفلة ولا بالتفريط في الطاعة، ولا بالخوف من اتباع السنة، ولا غير ذلك، ولكن ما عند الله يؤخذ بطاعة الله، فيطمئن قلبه حينئذ، ولا يكون في الدنيا يلهث فيها كما يلهث السَّبع في البرية كما يقولون، أو كما يركض فيها كركض الوحوش ، وإنما قد جمع الله عليه شمْله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة[1]، طالما قد صار همُّه همًّا واحدًا، وهو رضا الله تبارك

(1) عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ: فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ: جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**» . أخرجه ابن =

وتعالى عنه. أما إذا تفرق قلبه في هموم الدنيا، فإن الله تعالى لا يبالي في أي أوديتها هلك[1]. فإذا أصبح وهمه الدنيا، والرزق، والأولاد، والعيال، والدراسة، والمذاكرة، والسفر، وشغله ذلك عن الله تعالى، ولم يَفْقَه عن الله جل وعلا أن ذلك يحصله بطاعة الله، لا يحصله بالمعصية، ولا يحصله بالتقصير في أوامر الله تعالى وسنة النبي ﷺ؛ حينئذٍ أصبح وهمه الدنيا، ففرَّق الله عليه شمله، وأصبح قلبه متشتتًا عليه، ولا يستطيع أن يصلي، ولا أن يَذكر، وقلبه هنا وهناك.. في السوق، وفي البيت، وفي الدراسة، وفي المال، وفي الشغل، وفي الأولاد، وفي الذي كان، وفيما سيكون... شتَّت الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، يأتيه المال ولكن لا بركة فيه فيظن أن المال قليل فيَكِد ويهلك نفسه في طلب غيره حتى يكفيه حاجته وحاجة عياله، ثم ينفذ فيكد ويتعب نفسه حتى يحصل غيره... وهكذا حتى لا يكون له هَمٌّ في هذه الحياة الدنيا إلا جَمْعُه وتحصِيلُه والاستزادة منه من أي سبيل كان! جعل فقره بين عينيه؛ فهذا إذا أصبح وهمه الدنيا، ولكن إذا أصبح وهمه

=

ماجه:(4105)، قال المنذري في الترغيب: (رواتُه ثِقاتٌ)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية : (إسنادُه جيّدٌ)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب: (3168)، وللحديث ألفاظٌ ورواياتٌ أخرى مفيدة؛ راجعْها إن شئتَ في الترغيب والترهيب.

(2) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ جعل الهمَّ همًّا واحدًا؛ كفاه اللهُ هَمَّ دُنْياه ، ومَنْ تَشَعَّبْته الـهمومُ لمْ يُبالِ اللهُ في أيِّ أوديةِ الدنيا هَلَكَ**». أخرجه الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى في شُعب الإيمان؛ في الحادي والسبعون من شعب الإيمان؛ وهو بابٌ في الزهد وقصر الأمل. وحسَّنه لغيره الالبانيُّ في صحيح الترغيب: (3170).

الآخرة ومرضاة الله تبارك وتعالى وسعى السعي المطلوب لتحصيل رزقه الذي كتبه الله له، حينئذٍ: جمع الله عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة. حتى لا يتشكك أحد في رزق الله تعالى المكتوب له، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد ذكرنا أن الأرزاق نوعان: رزق الظاهر وهو رزق الأبدان، ورزق الباطن وهو الرزق الشريف.. رزق الروح والنفس في التعلق بالله تعالى ومعرفته ومحبته، الذي لو فتحه الله على أحد من عباده لقال كما قال الصالحون من قبل: «لو كان فيه أهل الدنيا لكانوا كأنهم في الجنة».

***

آيات الامْتنان بالرزق والأمْرِ بالأَكْل منه حلالًا طيّبًا :

وبعد أن بيّن الله تعالى لعباده أنه هو الرزاق وأنه يرزق من يشاء بغير حساب، امتن عليهم ووسع عليهم، وأمرهم بأن يأكلوا مما رزقهم. والله تبارك وتعالى يبين هذا المعنى في آيتين:

الآية الأولى: عندما يخاطب الناس، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: 168].

والآية الثانية: عندما يخاطب المؤمنين، وهي قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [النحل: 114]، وكذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: 172].

انظر إلى هذا المعنى، فهذا المعنى الأول: أن المؤمنين مختَصّون عند الله تعالى بطيبات الرزق التي لا يفرطون فيها. وقد علمنا أن الرزق منه حلال ومنه حرام، وأن المؤمن العاقل إذا علم أن الله تعالى قد كتب له رزقه فلا بد أن يأخذه بالحلال، ولا يأخذه بالشهوات والحرام والتفريط في أوامر الله ﷻ؛ ولذلك قال تعالى لما خاطب المؤمنين: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، ولكن لما خاطب الناس قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. ففي الأولى أمر المؤمنين أن يأكلوا من الطيبات، يعني لا يأكلوا من المحرمات، ولا من الشبهات، ولا من الشهوات... لماذا أمر المؤمنين بهذا؟ لأن المؤمنين لن يفرطوا في أوامر الله تعالى.. في أن يأخذوا ما آتاهم الله تعالى، حتى ولو كان على الشدة، إلا أن يُحصِّلوا الحلال الطيب الذي أمرهم الله به. لذلك قال النبي ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَّ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾»[1]. أليس كذلك؛ لأن عدم الرزق الحلال يمنع من استجابة الدعاء، ولذلك أكمل النبي الحديثَ ﷺ فقال: **«الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ؛ أَغْبَرَ؛ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (1015) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعًا، والآية الأولى في سورة [المؤمنون:51]، والثانية: [البقرة:172].

لِذَلِكَ ؟». وهذه المسألة الأولى: أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، ليس مما في الأرض، كما ذكر للناس والأنعام والحيوان والكفرة وغيرهم... لا، وإنما المؤمنون مطالبون من الله تعالى بأن يَتحَرَّوُا الرزق الحلال الطيب، ليس الحلال فقط، ولا الطيب فقط، وإنما الحلال الطيب؛ فالطيب بأن يكون سبب راحتهم، ولا يكون سبب ضعفهم وسبب أمراضهم وغير ذلك، يعني مما يستطيبه الناس أصحاب الطباع السليمة. والأمر الثاني أن يكون هذا الرزق حلالًا، فلا يبحث أبدًا ولا يطلب ولا يتبع ما حرم الله تبارك وتعالى؛ لأن الله قد أغناهم بأن وسع عليهم في الحلال، وهم عقلاء عن الله تعالى، مُحِبُّون له، يفهمون عنه ﷻ، فلا يميلون إلى الحرام ولو كان كثيرًا، كما قال: ﴿**لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ**﴾ [المائدة: 100]. وهذا امتحان للناس في الدنيا اليوم، امتحان لهم: يأتي أحدهم مثلًا يقول: «لكي أعمل في هذا المكان الفلاني وسآخذ– مثلًا– ثلاثة آلاف جنيه، لكن هناك شبهة: أن به مخالفات، كالاختلاط المحرم، أو عدم السماح بإعفاء اللحية... أو غير ذلك من المخالفات التي نهى الشرع عنها»: احذَرْ أيها المسكينُ؛ فهذا امتحانٌ، قال الله تعالى: ﴿**لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾، اتقوا الله وفكِّروا يا أصحاب العقول، والخطاب هنا لأصحاب العقول خاصة الذين يفكرون فيما عند الله ﷻ، لا في أهوائهم وشهواتهم.

فإذا كان الله تعالى قد وسع على عباده في أرزاقهم وأعطاهم، وأعلمهم أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها، في نفس الوقت أمرهم أن يطلبوا الحلال الطيب كما هي حال المرسلين، فالله تعالى رفع المؤمنين إلى تلك الدرجة العالية من الدرجات والمنازل عنده، إلى أن يطلبوا كما طلب الرسل.. أن يطلبوا الرزق الحلال الطيب، ولا يطلبوا الخبيث وإن كان كثيرًا وظاهره أنه سيغنيهم ويسد حاجتهم، لكن لا يغني عنهم من الله شيئًا: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الممتحنة: 3]، فإذا لم ينفع المرء أرحامه ولا أولاده يوم القيامة، فكذلك المال لن ينفعه عند الله تعالى، بل سيضره إذا كان خبيثًا.

***

والآية الثانية لنستكمل معنى الآية الأولى لأنها تابعة للامتحان الذي امتحن الله تعالى به عباده، هي قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ [الأنعام: 142].

ونذكر المثال الذي ذكرناه في الأسطر السابقة لنبين به هذا المعنى، وهو: إن عمل الإنسان عملًا في الدنيا ليحصِّل به رزق الله تعالى، لكن اشتمل هذا العمل على مخالفات وشبهات؛ ماذا يفعل حينئذ؟

نقول له: هل علمتَ أن رزقك مقسوم لك؟

يقول: نعم.

- علمتَ أن ما عند الله لا يؤخذ بمعصية الله؟

يقول: نعم.

- علمتَ أن ما عند الله لا يؤخذ إلا بطاعة الله؟

يقول: نعم.

- علمتَ أن المعصية لن تزيدك في رزقك شيئًا؟

يقول: نعم.

نقول له حينئذٍ: فلا تتبعْ خطواتِ الشيطان!!

يقول: وما علاقة الشيطان بهذا؟!

نقول له: لا يأتيك الشيطان مرة واحدة ويقول لك: «اعصِ الله وقَعْ في الحرام». لا، وإنما يقول لك في البداية مثلًا: «قصِّر لحيتك غدًا لأنك ستقابل المسئول الفلاني.. كلِّم زميلتك هذه حتى تفهم منها وتتقن عملك». وغدًا سيقول لك: «احلِقْ لحيتك لأنك أصبحتَ ذا شأن في مجال عملك وسوف تسافر إلى الخارج لتتوسع فيه»... وهكذا حتى ينسلخ الدين منك. فهذه خطوات الشيطان إذن التي ذكرها الله تعالى بعد ما أمر أن نأكل من رزقه. انظر تتابُع المعاني في الآية وترابطها: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. كُلْ من رزق الله تعالى الذي رزقك، وأقصِر على ذلك، وقِفْ على طاعته، ولا تتبع خطوات الشيطان. لماذا؟ لأن الشيطان لن يقول لك في البداية: «كُلْ من الحرام مباشرةً، وقَعْ في المعصية لتُحصل الرزق، ...» لا، وإنما سيُرغِّبك درجةً درجةً في المعصية حتى تقع فيها. كمعصية الوقوع في الزنا مثلًا، فلا يأتي ويقول له: «هيا تعالَ ازنِ» هكذا مباشرةً..

لا، ولكن أول شيء سيقول له: «انظُر النظر المحرم.. تَكلَّم.. ماذا سيحدث لو كلمتَ فلانة – زميلتك في العمل – هل أنتَ تفعل شيئًا حرامًا؟ أنت تكلمها في مصلحة العمل؟!»... فهذه خطوات الشيطان التي نهى الله تعالى المؤمنين عن اتباعها؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: 32]، أي: حتى لا تقعوا فيه.

وذلك حتى يتعلم المؤمنون أنه من قصَّر في طاعة الله تعالى وسنة النبي ﷺ، فعليه أن يراجع نفسه في ذلك ويعاهد الله تبارك وتعالى مرة أخرى على المواظبة؛ حتى ينقذه الله من هذه الخطوات والخطرات التي إنِ اتبعها المرءُ؛ خرجَ عن الطاعة ودخل في المعصية ووقع في المحرمات. وهذا الاتباع القليل لخطوات الشيطان لا يحس به المرء، وهذه مشكلة المتدينين بالأخص؛ لأنه لا يحس بخروجه عن الطاعة قليلًا قليلًا قليلًا، حتى يبعد فجأة عن الطريق المستقيم. لا يحس بالبعد في هذا التدرج من اتباع خطوات الشيطان، لا يحس إلا بعدما يكون قد ابتعد فعلًا ابتعادًا قد ضحك عليه فيه الشيطان واستغواه به واستطاع أن يبعده به عن طريق الله تعالى المستقيم. وهذا الذي أكده المولى في قضية الرزق؛ لأن قضية الرزق من القضايا التي يقع فيها التساؤل والتشكك، يقول أحدهم: «بحثت فلم أجد عملًا غير هذا.. وأنا محتاج وعندي عيال.. وهذه ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات...»، وكأنما يُلِحُّ عليه الشيطان في هذه القضية، كما يلح عليه في قضية الفواحش والوقوع فيها؛ لأن القضيتين مما تميل إليهما النفس: قضية الرزق، وقضية

الشهوات التي تميل إليها النفس بطبيعتها؛ تريد أن تقضي شهواتها، فيدخل لها الشيطان من هذا المدخل.

* * *

قولُه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾

فإذا تخطَّى المؤمن القوي هذه العقبات ولم يتبع هذه الخطوات، واتبع أمر الله تعالى، وصبر على هذه الأحوال الشديدة، ولم يقع في المحرمات؛ حينئذٍ نذكره بقصة المؤمنين الأولين حين قال الله تعالى: **﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾** [الأنفال:26].

وكان الصحابة في مكة المكرمة في بدء الدعوة في شدة وضيق مما يلاقونه من التعذيب والأذى على أيدي أعداء الله المشركين الكارهين لدين الله ولدعوة النبي ﷺ، فكانوا حينئذٍ مستضعفين في الأرض قد ضُيق عليهم في كل شيء: في أرزاقهم، وفي أعمالهم، لا يُتاجرون معهم، ولا يؤاكلونهم، ولا يشاربونهم، ولا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، علاوةً على ما هم فيه من المحنة والأذى والبأس والتعذيب والتنكيل والتشريد، إلى أن تركوا أموالهم وديارهم وأوطانهم وأولادهم

وبيوتهم لله تعالى! إذا بالله يَمتنُّ عليهم جل وعلا، يقول: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾. حتى يتعلم المؤمنون اليوم أنهم في رغد من العيش، وأنهم وإنْ لاقَوْا أذًى وشدةً فلا يتساوى ذلك مع شيء مما كان يعانيه أصحاب النبي ﷺ، فلا نحن تركنا أموالنا وأولادنا وأوطاننا، ولا نحن عُذِّبنا وشُرِّدنا وضُيِّق علينا كما كان هؤلاء رضي الله عنهم في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه. ومع ذلك ترى الواحد منا– إلا من رحم الله تعالى– إذا ضُيق عليه في رزقه شيئًا يسيرًا، تراه مترددًا.. متشككًا.. مضطربًا.. حزينًا.. قلقًا على ما كان وما سيكون.. خائفًا من غده وفقره. فلا بد إذن أن يتعلم المرء هذا الثبات وهذا الصبر الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وينظر كذلك إلى العاقبة من الله تعالى نظير هذا الثبات وهذا الصبر، وهو قوله تعالى: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾. فلا تخش إذن إذا ضُيق عليك شيئًا، فلن يصل بك الحال إلى مثل ما وصل بهم مِن خوفهم أن يتخطفهم الناس، ولن يصل بك الحال إلى أن تُطرد من وطنك ويُسلب مالُك وولدك وتَترك أهلك. وفي النهاية إذا تحلَّيت بهذا الصبر والثبات فستكون لك مثل عاقبتهم: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، فما كان ذلك إلا لصبرهم وثباتهم، وما كان ذلك إلا لجهدهم وتضحيتهم، وما كان ذلك إلا لهجرهم كل ذلك في سبيل الله ﷻ موقنين بأن الله جل وعلا سوف يعوضهم ويخلف عليهم.

* * *

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

وفي هذه الآية ألزمهم ﷻ أن يأكلوا من الطيبات، وليس أن يقفوا مع الطيبات، يعني لا تكون هذه الطيبات سببًا لنسيان الرزاق ﷻ الذي أنعم عليهم بها، ومنحهم إياها ووهبها لهم. فالأمر هنا للإباحة والضابط فيه ألا يُسرف المرء فيه، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]، وكما ابن عباس رضي الله عنهما: «**كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيْلَةٌ**»[1]. فالأمر بالأكل من الطيبات إذن مضبوط بألا يُسرف المرء في ذلك وأن يشكر الله تعالى على هذه الطيبات الذي وهبها الله له؛ لأنه لو لم يشكر الله تعالى لآذن ذلك برحيل هذه النعم ومَحْقِها. لذلك قال في آية أخرى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]؛ لأن ترك الشكر كفران لهذه النعم، وكفران النعم يمحق هذه النعم ويذيلها. فمن متعه الله تعالى بالصحة والفراغ ولم يشكر الله تعالى على هذه النعم، إذا بها تؤخذ منه.

---

(1)أخرجه البخاري مُعلَّقًا بصيغة الجزم موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب اللباس، وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا؛ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ**» . أخرجه النسائي (2559)، وحسّنه الألباني في صحيح النسائي. قال الحافظُ في الفتح: (وَالْمَخِيلَة: هِيَ بِمَعْنَى الْخُيَلَاء ؛ وَهُوَ التَّكَبُّر) . انتهى باختصار.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾، أي: تعبدون الله تعالى بشتى أنواع العبادة، من صلاة وذكر وعمل صالح وقيام وصيام وصدقة وتعلُّم للعلم النافع وقضاء حوائج المسلمين... وغير ذلك من أبواب العمل الصالح الذي لا بد أن يقوم به المرء شكرًا على نعم الله التي لا تُعد ولا تحصى.. و﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ هذا شرط، ودخول الشرط هنا على تزييل هذه الآية ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ إنما هو لحملهم على الشكر، يعني دليل العبادة: إن كنتم تحبون الله وتعبدونه وتعرفونه، فينبغي عليكم أن تشكروا له ﷻ الذي أعطاكم هذه النعم، والشكر يلزم على كل حال، ثم بعد ذلك إن زادكم من النعم زدتم من الشكر. فالعبادة إذن أنكم إن كنتم تعبدون الله تعالى فلا بد أن تشكروه.

وإذا قلنا إن هذه الطيبات التي وهبها الله لك لتأكل منها تَستوجب الشكر بعبادتك لله تعالى وعدم نسيانه، فإنَّ عبادتك لله تعالى أيضًا مما تستوجب شكر الله تعالى عليها أنْ وَفَّقك بالقيام بها؛ بل إنَّ شُكرك لله تعالى على عبادته التي وَفَّقك الله بأن قمتَ بها يستوجبُ -أي هذا الشكرُ- أيضًا شكرًا آخرَ؛ لأنه إنْ لم يُعنك ويوفقك عليه لما شكرتَه، فإنْ أعانك ووفقك وشكرته فإنَّ هذا الشكر يحتاج إلى شكر بعده أيضًا... وهكذا. حتى تعلم أنه بغير توفيق الله لك فأنت لا تستطيع عمل شيء بالمرة، لا صلاة ولا صيام ولا ذكر ولا أن تحفظ كتابه ولا أن تقوم في ليلك ولو بآية... فكل هذا بتوفيق الله وعونه ورزقه. انظر إليك مثلًا: الله تبارك

وتعالى فتح عليك وأنعم عليك بأن قمت عدة ليالٍ مثلًا، فقصَّرت مثلًا في هذا القيام ولم تشكر الله تعالى عليه، إذا بك تجد نفسك وقد حُرمت منه. فهذه النعم كلها إذن لا بد أن يتفكر المرء في شكرها: قراءة القرآن، حلاوة الطاعة، حلاوة الإيمان، القيام، الصيام، أن يخف على قلبه الإنفاق، والصدقة، والبذل، والسعي على مصالح المسلمين، أو الدعوة إلى الله تعالى وتحمُّل ذلك... كل هذه الطاعات يتفكر المرء في شكرها، ويتفكر كذلك في الذي يضيعها حتى يتجنبه، ويرتفع هذا البلاء النازل على المؤمنين؛ لأنهم كانوا في نعَم وبَطَروا هذه النعم، وكذلك خرجوا عن حدود الشكر إلى الغفلة عن المولى ﷻ، وخرجوا كذلك بهذه النعم إلى المعصية، فكان ذلك سببًا في نزول البلاء عليهم ورفع النعم عنهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

فنحن مطالبون إذن بالشكر، والشكر يستلزم التفكر في نعم الله تعالى، وتعديد هذه النعم، بأن تشكر كل نعمة على حدة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: 34]. فلا بد أن يعدّ المرءُ هذه النِّعَمَ، وإن كان لا يستطيع إحصائها، أن يعدّها هكذا: هذه النعمة الأُولَى، هذه النعمة ثانية.. إلخ. وأن يوفر لكل نعمة شكرًا خاصًّا بها، يستطيع بهذا الشكر أن يؤدي حق هذه النعم. ولكن هل سيؤدي حقها؟ لا، لن يؤدي أحدٌ حق نعمةٍ واحدة، بل لو أُخذت عيناك مثلًا، لا تستطيع أن تؤدي لها شكرًا، من الذي سيُرجع لك عينيك؟

من الذي يستطيع؟ لا أحد . فلو جاء لك أحد وقال لك: نأخذ عينيك وتأخذ بدلها مائة ألف مثلًا؟ ستقول: لا، من الذي يرضى بذلك؟!

فهذا المعنى الأول: أن يتفكر المرء في النعم، ثم يُعدد هذه النعم، ليوفر لكل نعمة شكرًا؛ نعمة البصر، نعمة السمع، نعمة الكلام، نعمة الصحة، نعمة الفراغ، نعمة المال، نعمة العبادة، نعمة الذكر والإقبال على الله تعالى، نعمة الأُخُوَّة، نعمة الإسلام، نعمة اتباع سُنَّة النبي ﷺ... إلى آخر النعم التي لا يشكرها المرء ولا يتفكر فيها، فضلًا عن أن يوفر لها شكرًا كما ذكرنا. ثم عليه بعد ذلك أن يعلم أنه لا يستطيع أن يحصي هذه النعم شكرًا لله عليها؛ لأنه وإن قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ**﴾ فلا يستطيع تعديد هذه النعم، ولا يستطيع إحصاءها، وبالتالي لا يستطيع شكرها. وهذا يذِّكرنا فيما يُرْوَى عن سيدنا موسى عليه السلام يوم الطور أنه ذُكِرَ عنه أنّه قال لله تعالى: «يَا رَبِّ إنْ صَلَّيْتُ؛ فَمِنْ قِبَلِكَ، وإنْ تَصَدَّقْتُ؛ فَمِنْ قِبَلِكَ، وإنْ بَلَّغْتُ رِسَالَتَكَ؛ فَمِنْ قِبَلِكَ، فَكَيْفَ أَشْكُرُكَ؟» قال: «الآنَ شَكَرْتَنِي»[1]. لأن الله تعالى قال: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ**﴾ [النحل: 53]، وأي نعمة أنت فيها إنما هي من الله تعالى، ليس منك؛ أنت مولود ابتداءً في الدنيا ولك حق عند الله

---

[1] ذكرَ هذه القصةَ الحافظُ ابو بكر الخرائطي (ت: 327هـ) في «شُكْر الله على نِعمه» بسندِهِ حتى قال: عن أبي عمرو الشيباني ، قال : قال موسى يوم الطور .. إلخ. وأبو عمرو الشيباني هذا هو سعد بن إياس الكوفيّ؛ من كبار التابعين، أدركَ زمان النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولمْ يرَه، ثقةٌ؛ أخرج له السِّتَةُ. تُوفِّي في 95 أو 96 هـ. رحمه الله تعالى.

تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 7، 8]، فلم تفعل شيئًا ابتداءً تستحق به هذه النعمة، أعطاك إياها سبحانه وتعالى من غير استحقاق سابقٍ منك ولا ببذل منك سابق لله تعالى. ولذلك معنيان:

المعنى الأول: وهو أن يصل المرء إلى الحالة التي لا يستطيع أن يشكر فيها الله شيئًا، يعني أن يسلم أمره إلى الله، يقول: «أنا لا أستطيع أن أشكر الله تعالى». لا يتمكن من ذلك، وليس في وسعه أن يفعل ذلك، فيقول الله له كما قال لموسى عليه السلام: «**الآنَ شَكَرْتَنِي**»، فإحساسك بالعجز عن الشكر هو شكرُ الله تعالى، وذلك بعد أن تَبلغ جهدك وأن تبلغ من شكر النعم الحد الذي لا تستطيع أن تبذل بعده شكرًا.

والمعنى الثاني: هو أن الشكر على النعمة هو نفسه نعمة من الله تعالى كما ذكرنا، فإذا وفق الله تعالى المرء للشكر، فهذه من أعظم النعم التي تحتاج إلى شكر؛ إذا وفقك لشكر الطاعة، لشكر المال، لشكر الصحة، لشكر أي نعمة من نعمه، فقد اصطفاك الله تعالى، قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، يعني: الخاصة القليلة هم الشَّكور وهم الذين اصطفاهم الله تعالى واجتباهم، فإذا أَوْلاكَ اللهُ تعالى هذه النعمةَ فأنت من القليل المصطفَيْن عند الله تعالى. لذلك كان من السلف الصالح إذا وفَّقه اللهُ تعالى لقيام ليلةٍ، كان يشكر الله بأن يصبح صائمًا شكرًا لهذه النعمة، وإن صام ورزقه الله تعالى إفطارًا جيدًا، إذا به يقوم ليلة كاملة شكرًا لهذه النعمة، فيشكر الله تعالى على ما وفقه للصيام وعلى ما رزقه هذا الإفطار... وهكذا، ما

كانوا يتركون نعمةً تمر عليهم بغير شكر؛ لئلا يُحرَموا هذه النعمة وأن تمحق منهم، وهؤلاء هم القليل.

***

ولا تكون النعم سببًا للطغيان، ولا سببًا في أن يَعِيثَ المرءُ في الأرض فسادًا. فإذا حدث ذلك نزل غضبُ الله تعالى، وهذه هي الآية التالية:

***

قولُه تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه: 81].

والطغيان بالنعم هذا من أشد أنواع الفساد، فإذا أفسد المرء النعم التي أعطاها الله تبارك وتعالى له، ولم تكن هذه النعم سببًا في أن يكون من القليل الشكور لله جل وعلا، وأن يعتقد هذه النعم في قلبه ويحدث بها ظاهرًا ويصرفها في مرضات معطيها ومسديها ﷻ... إذا لم يفعل ذلك لم يحقق شكر هذه النعم، ويوشك أن ينزل عليه غضب الله تعالى إن طغى بهذه النعم، وخرج عن حده، وزاد في طغيانه، فأنسته النعم شكر المولى ﷻ وألهته عن طاعة الله تعالى، وأوقعته في الغفلة، فضلًا عن المعاصي والسيئات والذنوب؛ لذلك قال ﷻ: **﴿وَلا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾**، أي: فقد سقط سقوطًا لا قيام له.

***

علمنا إذن أن الله تعالى لما أمر المؤمنين أن يأكلوا من رزقه ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّبًا﴾ [النحل: 114]، فإنه أمرهم بألا يسرفوا في هذا الرزق ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: 31]، ورزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون، وبعد ذلك ألزمهم شكر نعمته: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114].

وإذا كان الله تبارك وتعالى أمرهم بأن يَتحَرَّوُا الحلال، وألا يقصدوا الحرام، وأن الحلال أولى لهم، بل هو الواجب عليهم، وإن كان في ظاهره قليلًا، فهو عند الله كثير... إلى آخر ما ذكرنا، إذا أمرهم الله بذلك كله فإنه أمرهم ﷻ كذلك أن يشكروه على هذا الرزق الحلال الذي رزقهم إياه، وأمرهم كذلك بألا يكون هذا الرزق الحلال سببًا للمشغلة وتضييع الدنيا ونسيان الآخرة.

***

بعد ذلك أمرهم الله تعالى ببابٍ من أبواب الشكر، وهو الإنفاق من هذا الرزق الذي أعطاهم الله تعالى، وقد ذكرنا الآيات سريعًا كما ترون لننتهي من هذه المعاني، وحتى يحاول المؤمنون المتقون أن تكون هذه المعاني هي الشاغلة لهم، وأن يتفكروا في شكرها. ومن أهم صفات المؤمنين أنهم إذا سمعوا شيئًا عن الله وعن الرسول ﷺ لا بد أن يأتوا به، ولا بد أن يتحققوا به، وإلا كان علمًا وبالًا عليهم، يُسألون عليه يوم القيامة، ويجب على المرء إذا ما سمع شيئًا عن الله تعالى أو شيئًا عن النبي ﷺ أن يبادر في التحقق بهذا الشيء، أن يبادر في أن يسارع للإتيان به والسلوك عليه

والعمل به؛ لِيُكتب من أهله، حتى يقول الإمام النووي رحمه الله وغيره من أهل العلم: «ولو مرةً واحدة»، يعني لو وصله ذكرٌ عن النبي ﷺ في شيء وعَمِل به حتى ولو مرةً واحدة يُكتب من أهل هذه السُّنة مرةً واحدة. فما بالك في لزوم الشكر في كل شيء؛ أن يشكر الله تعالى على كل ما أعطاه، ونحن قد ذكرنا الآية الكريمة: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ**﴾ [سبأ: 13].

وهذا الباب وهو باب طلب الإنفاق، يعني أن الله تعالى طلب من المؤمنين المتقين أن ينفقوا مما رزقهم الله. هو رزقهم حلالًا طيبًا، ووسَّع عليهم في الرزق، وأمرهم أن يشكروه ﷻ، إذا به يأمرهم بباب من أبواب الشكر، هو الإنفاق من هذا الرزق الذي رزقهم الله تعالى.

والمسألة الأولى التي نشير إليها سريعًا وهي مسألة مهمة: أنه لما أمرهم بالإنفاق أمرهم بالإنفاق مما رزقهم. يعني: مهما قلَّ هذا الرزق الذي أعطاهم الله ﷻ إياه أمرهم أن ينفقوا منه؛ ليثبتوا لله تعالى أنهم موقنون بما عنده. والنبي ﷺ حتى لما لم يكن عنده شيء، كان يقول لمن سأله: «اسْتَدِنْ عَلَيَّ»، يعني لو جاءه سائل يسأله وهو ليس عنده شيء ﷺ، كان يقول له: «اسْتَدِنْ عَلَيَّ»، إنْ صحَّتْ هذه الرواية عنه(1)، يعني: اذهب وخذ ما تريده من فلان ويكون دينًا عليه ﷺ، وهو معنى

(1) يُشير فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى إلى ضعف هذه الرواية.

الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال: «**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ: لاَ**»[1] صلوات الله وسلامه عليه.

والله تعالى لما امتن على المؤمنين بالرزق، إذا به يمدحهم على الإنفاق من هذا الرزق، يعني طلب منهم أن ينفقوا فقال: ﴿**وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم**﴾ [المنافقون: 10]، أليس كذلك؟ مع أن هذا الرزق الذي طلب منهم الانفاق منه هو الذي أعطاهم لهم ﷻ، ومع ذلك مدحهم على أن يُنفقوا منه، انظر إلى فضل الله تعالى: أعطاك هذا الرزق من عنده، وامتن عليك به، ثم بعد ذلك أمرك أن تنفق منه، ومدحك على هذا الإنفاق، مع أنه هو الذي أعطاك هذا الرزق ومنحك إياه، وهو الذي وفقك للإنفاق كما ذكرنا: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ**﴾ [النحل: 53]، فقد وفقك لأنْ تنفق في سبيله ولم يوفق غيرك، ومع ذلك إذا بك شحيح وبخيل وحريص، لا تنفق ولا تُخرج من يدك شيئًا، إذا جاءك جُنيهٌ قلت: إلى أين؟!، وتُدَفِّيه كما يقول الشاعر.

فأمرهم إذن أن ينفقوا مما رزقهم مهما قلَّ هذا الرزق؛ لذلك مدحهم فقال ﷻ: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 133، 134]، يعني: قَلَّ رزقكم أنفِقوا، زاد رزقكم أنفِقوا، في سراء أنفِقوا، في ضراء أنفِقوا، لا تمنعكم السراء ولا الضراء، ولا يمنعكم الحبس، ولا تمنعكم

(1) متفقٌ عليه: [البخاري: (6034)، ومسلمٌ: (2311)، واللفظ للأخير]

الحرية، ولا تمنعكم القلة ولا الكثرة من أن تنفقوا لله تعالى؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَا نَقَصَ مَالُ عبدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»(1)، فلا ينقص المال من صدقةٍ قطُّ. إذا أُعطي الواحد منا أمسك به، فإن كان هذا المال قليلًا، يقول لك: من أين أُنفق؟ هذا المال على قدر الولد، وعلى قدر المصاريف، وعلى قدر ما قدَّرتُ لغد، وعندي كذا، وعندي كذا، والداخل مثل الخارج... لا، المؤمنون المتقون على غير ذلك، على خلاف ذلك: ﴿**وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ**﴾ [المعارج: 24، 25]، يعني: ماله فيه حق معلوم لا بد أن يخرجه للسائل والمحروم، كما قال الله تعالى، وهذا الحق المعلوم حقٌّ في المال سوى الزكاة؛ لأن الآية في سورة البقرة ذَكرت الزكاة ثم ذَكرت الحق المعلوم، فدل على أن الحق المعلوم غير الزكاة، وهو قوله تعالى: ﴿**لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ**﴾ [البقرة: 177]، فذكر إتيان الزكاة وذكر إتيان المال على حُبِّه، فدل على أن هذا غير هذا. ﴿**وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ**﴾ يعني أن المال حبيبٌ إلى نفسه شحيحٌ به، لا يريد أن يخرجه، تجاذبه نفسه هذا الإخراج، كما يقول الشاعر:

ويُعالِجُ نَفْسًا بيْن جَنبَيْهِ كَزَّةً ... إذا هَمَّ بالمعروف قالت له: مهلًا!

يعني: إذا أراد أن ينفق قالت له نفسه: لا؛ لا تُنفقْ!

(1) أخرجه بنحوه الإمام مسلم في صحيحه (2588) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه، وأخرجه بهذا اللفظ الترمذي (2325) وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ). وقد مرَّ تخريجه في آخر الدرس الأول.

هذا المعنى الأول، كيف ينفق في السراء والضراء؟ وكيف يجعل في ماله حقًّا معلومًا؟ وهذا فارقٌ بين المتقين وبين غيرهم، وهو أن المتقين هؤلاء جعلوا حقًّا معلومًا في أموالهم ابتداءً؛ أي قد خصَّصَ وعيَّنَ حقًّا معلومًا في ماله وحدَّده لئلا يجاذبه الشيطان، كما ذكرنا في المال هنا والرزق: ﴿**كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ**﴾ [البقرة: 168]، فهذه خطوات الشيطان، أنه سوف يأتي وينازعهم في الإنفاق والرزق، أليس كذلك؟

الله تعالى أمرهم كما ذكرنا أن ينفقوا في السراء والضراء، وأوعدهم من ناحية، ووعدهم من ناحية أخرى. يعني حَذَّرهم من تَرْك الإنفاق من ناحية، وفي نفس الوقت رَغَّبهم فيه من ناحية أخرى. رغَّبهم فيه فقال ﷻ: ﴿**وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ**﴾ [سبأ: 39]، يعني: لا تخفْ أنْ تنفق أيها الخائف الحريص البخيل الشحيح، الذي تخاف على غدك، لا تخف أن ينقص مالُك فقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ**﴾. وإخلافُه ﷻ عليك ليس كإخلاف غيره، وليس كنفقتك، فهو أكرمُ مِن أنْ تنفق له شيئًا ولا يكرمك به ولا يعطيك أكثر مما أنفقت، فالنفقة عنده بسبعمائة ضعف. لا تخف وأنت جهدك المُقِلُّ –أي القليل - أنْ تنفق بالمحبة والكرم أو أن تنفق ابتغاء وجهه ﷻ وتثبيتًا من نفسك ثم لا يكرمك بأضعاف ذلك، كما قال: ﴿**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ**﴾ [البقرة: 261]. فالذي يريد رزقًا زائدًا هو الذي ينفق؛ لا الذي يَكْنزُ ويَدَّخِر، وإنْ كان هذا هو خلاف الواقع الذي يظنُّه كثيرٌ مِن

الناس، لكن هذا هي الحقُّ إنْ صح اليقين في الله تعالى؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»[1]، يعني: لا ينقص المال من التصدق أبدًا، والآية تزيد ذلك وتقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

فالحاصل من هذا إذن أمران؛ الأمر الأول: أنه لا بد من الإنفاق. والأمر الثاني: أنه إذا كان مالُك قليلًا وأردت زيادة هذا المال؛ فعليكَ أن تنفق لله تعالى منه، فيُخلف الله تبارك وتعالى عليك إلى سبعمائة ضعفٍ؛ إلى أضعافٍ مُضاعفةٍ.

وإن كانت هذه المسألة تختلف باختلاف أحوال المؤمنين، فسيدنا أبو بكر ﷺ أنفق ماله كله، فقال له النبي ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قال: «أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ»، وجاء عمر ﷺ فأنفق نصف ماله، فَقَالَ له رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» . قُلْتُ - أي عمرُ رضي الله عنه : «مِثْلَهُ» [2].

---

(1) سبق تخريجه قريبًا.

[2] أخرجه أبو داود (1678) وسكتَ عنه، والترمذي (3675) وقال: حسنٌ صحيحٌ، واللفظُ له، وصحَّحه النووي في المجموع (6/ 236 دار الفكر). وهذا نصُّ رواية الترمذي للفائدة: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِى مَالاً، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً. قَالَ : فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» . قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ! فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» . قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَىْءٍ أَبَداً !.

وجاء غيره ليخرج مِنْ مَالِه كُلِّهِ صَدَقةً لله، فقال له النبي ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ**»(1)، وسيدنا سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه جاء ينفق فقال له النبي ﷺ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**»(2). فهذه المسألة إذن تختلف باختلاف أحوال المؤمنين، ولكن في النهاية لا بد أن تكون قضية الإخلاف في الإنفاق هي الراسخة في عقول المؤمنين وقلوبهم وآذانهم؛ لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «**يا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(3)، فالله تعالى هو الكريم، الجواد، البَرُّ، الرحيم، المُحسِن جلَّ وعلا، إذا أنفق عبدُه له صدقةً، فلا بد أن يكافئه ﷻ بأحسن منها. أما التشكُّك في ذلك فهو مما يلقيه الشيطان في قلب العبد، وهذا من ضعف الإيمان وضعف اليقين

---

(1) عن عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ – وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِىَ – قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ فِى حَدِيثِهِ {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، فَقَالَ فِى آخِرِ حَدِيثِهِ: إِنَّ مِنْ تَوْبَتِى أَنِّى أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِى صَدَقَةً إِلَى الله وَرَسُولِهِ. فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ؛ فَهْوَ خَيْرٌ لَكَ**». أخرجه البخاري مختصرًا هكذا في:(6692)، وفي غيرها ، وأخرجه الشيخان أيضًا مطوَّلًا.

(2) أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في أكثر من موضعٍ في صحيحيهما، وهذا هو نص الحديث للفائدة لهذه الرواية في البخاري (5345) :

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ سَعْدٍ – رضى الله عنه – قَالَ: كَانَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُنِى وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِى مَالٌ؛ أُوصِى بِمَالِى كُلِّهِ؟ قَالَ «**لاَ**». قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ «**لاَ**». قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟

قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ؛ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِى أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ؛ حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِى فِى امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْفَعُكَ؛ يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ**».

(3) متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعُه:[البخاري (6484)، ومسلم (993) واللفظُ له]

والتوكل على الله تعالى؛ لأن الله تعالى ينفق على عباده منذ خلق السماوات والأرض، ولا تغيضه النفقة ﷻ.

والأمر المقابل لذلك هو وعيد الله تعالى الشديد لأولئك الذين لم ينفقوا؛ قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ [البقرة: 254]، وقبلها قال ﷻ: ﴿**وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ**﴾ [المنافقون: 10]. فهذان الأمران الشديدان اللذان وعد الله تعالى بهما المؤمنين المتقين في الإنفاق.

﴿**وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾. وهذه المشكلة الأولى، أن يأتيه الموت ويقول لملَك الموت: «أخِّرْني يومًا، أتوب فيه إلى الله وأرجع». فيقول له: «فنيت الأيام فلا يوم». يقول: «أخرني ساعة». يقول: «فنيت الساعات فلا ساعة».

وقال النبي ﷺ لَـمَّا سُئِلَ عن أعظم الصدقة أجرًا: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ؛ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى. وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ**»[1].

فخير الصدقة إذًا النفقةُ مِن جهد المُقل[1]، وألَّا ينفق قبل أن يأتيه الموت، فيتمنى أن يرجع ليتصدق. ينفق وهو صحيح شحيح، يخاف الفقر، ويأمل

(1) متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا:[البخاري: (1419) واللفظُ له، ومسلمٌ: (1032)]

الغنى، ولا يمنعه أن ينتظر حتى إذا بلغت الحلقوم، ويقول: «لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان».

والآية الثانية في الوعيد هي: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ**﴾، هذا اليوم لا بيعٌ فيه ولا خلة ولا شفاعة، يومٌ لا ينفع فيه مالٌ ولا ينفع فيه صداقة ولا ينفع فيه شفاعة، لا ينفع فيه أحدٌ أحدًا، يقول فيه النبي ﷺ في هذا اليوم: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ؛ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(2). فبيَّن هذا المعنى وهو أخطر المعاني، وهو معنى الموت، ويليه معنى الوقوف بين يدي الله تعالى، ولا ينجيه يومئذ إلا الصدقة، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، ولا يمنعه حينئذ من ذلك، يعني لا ينجيه ولا يكون وقاية بينه وبين النار وبين غضب الله تعالى إلا ذلك الإنفاق.

---

(1) عن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**جَهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**». أخرجه أبو داود (1677)، والإمام أحمد في مسنده (2/ 358) وصحَّحَ إسنادَه الشيخُ شعيب في تحقيق المسند، وقال الهيتميُّ في الزواجر: صحيحٌ أو حسنٌ.

(2)متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا:[البخاري: (7512)، ومسلمٌ: (1016)]

وقال أيضًا ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]. فتجارة الدنيا يمكن أن تبور، لكن تجارة الآخرة لا تبور ولن تبور، وهذه المسألة لطمأنة المؤمنين أن الأموال التي تريد أن تنميها وأن تزيدها في الدنيا، يمكن لهذه الأموال وهذه التجارة التي في الدنيا أن تبور، ومن معه أموال كثيرة لا تعد ولا تحصى ويتاجر ويذهب ويروح ويأتي، فجأةً يمكن أن يحدث له أي شيءٍ فتضيع أمواله، فكم من غني افتقر، وكم من تاجر ضاعت تجارته أو بارت تجارته، أو حدث له ما يحدث. ولكن تجارة الآخرة هي التجارة الرابحة، والله ﷻ يُطمئن بها المؤمنين أن تلك التجارة لن تبور ولا تضيع ولا يحدث لها الكساد ولا يحدث لها المحق، ولا يحدث لها أن تضيع أو أن تذهب أو أن يفتقر أصحابها، إنها كما قال تعالى: ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: 29، 30].

وهذا الإنفاق في نهاية المطاف لا يتعلق بالمال فقط، وإنما قد ذكرنا في بداية الكلام على الرزق، أن الإنفاق يكون من العلم ومن الجهد ومن المال ومن الجاه ومن السلطان ومن الوقت... ومن كل ذلك، وأن ينفق طيبةً بهذا الإنفاق نفسه.

***

ونختم بهذه الآية الكريمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: 39]. ماذا يحدث لهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله؟

ثم بيَّن للمؤمنين: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: 7]، فهذا ليس مالكم، وإنما ذلك مال الله تعالى، الذي ينبغي أن ينفق المرء منه في السراء والضراء، وأمر الله تبارك وتعالى بالإنفاق في الصدقة، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ونقف عند هذا الحد إن شاء الله تعالى.